

عمر بن شريط

رسول بافوميت

رواية

الجزائر

الجزائر تقرأ

رواية رسول بافوميت، نسخة
إلكترونية أصلية مجانية من الجزائر
تقرأ هدية لكل القراء الذين طلبوها




نتمنى أن تنال الرواية إعجابكم.
ولا تنسونا من مراجعتكم لها،
راسلونا بآرائكم؛)

يمكن الحصول على نسخة ورقية
من الرواية عبر متجرنا الإلكتروني

dzreads.com

عمر بن شريط
رسول بافوميت
ردمك: 978-9931-677-12-2
الايداع القانوني: السادسي الثاني 2018

الجزائر نقرأ
8 شارع حساني يسعد، الجزائر الوسطى
مدير النشر: عبد الرزاق بوكبة
إيميل: nashr@dzreads.com

 /dzreads  @dz_reads  dzreads.com



جميع الحقوق محفوظة ©

عمر بن شريط

رسول بافوميت

بالتقلى

إهداء:

- إلى من لا يحبُّون الأمور التقليديَّة والسَّاذجة وينفرون منها. من يعيشون في عوالمهم الخاصَّة التي لا تخضعُ إلا لمنطقهم الخاص.. إلى من يحبُّون الغوص في العوالم الشَّيِّقة، كعالم بافوميت.

- إلى والديَّ اللَّذان كان لهما دخلٌ في تشكُّل ذاتي الرِّوائية عبر محطات الحياة الشَّيِّقة التي عايشها معكما أناي الصَّغير.. لا يفي الحبُّ والشكْرُ حقَّكما.

- إلى الأصدقاء. وفاء تَفَّاح، كريم بن أحمد، كوثر يحياوي وغيرهم..

مقدمة:

لم تفلح قدسية النجمة السادسة في السحر لانتشالي من هذا الوضع ولم تستطع فك شيفرة اللعنة، ولا تلك الدماء التي سفكتها كقربان لهم شفعت لي عندهم للخلاص منهم.. اشتقت جسدي الهزيل بكلّ عيوبه، اشتقت العودة إليه؛ فهذا الجسم المعاق الذي وجدت نفسي مقيما فيه صار سجننا ضيقا أكثر من ذي قبل ولم أعد أطيق صبرا عليه برغم تواجد هذه الحاشية الخادمة لي والتي أمرها تحت فرقة أصابع يدي فقط..!

لم يعقني الانفصام والتضاربات التي تحدث الآن بين روحي وروح صاحب الجسد الأصلي عن التفكير بمهرب وبحالي في المستقبل القريب جدّا والذي يليه؛ في الوقت الرّاهن لا أنا المتحكّم في زمام الأمور هنا فأحرّك الجسد والأفكار لأين ما شئت ولا المالك الأوّل لهذه الجثة يفعل.. ترى أيّ جسد سأرتحل له في المرّة القادمة؟ إلى أين سيقودونني؟ وهل سأنجو وتنجح الخطة؟ لا سبيل لذلك؛ أظنهم قد علموا بأمر محاولاتي في الهروب والتنصّل من لعبتهم القذرة!..

بكاء الطّفل في الخارج؛ في مكان عمل يخلو من النّاس يذكرني بكلام «بافوميت» في آخر يوم لي من الحجز في تلك البقاع المخيفة

بعد اختطافي.. «بكاء الطفل، ليلة الجمعة واكتمال البدر... عزاء وغريان...! لا تأتي الغريان دون سبب! هي لم تأت عبثا...» كلام مشفر لم أستطع فهمه حتى بعد عودتي إلى هذه القذارة البشرية... لكن هذا البكاء الغريب يثير نزعة من الحيرة والخوف في جوفي والكثير من التساؤلات وطعم الموت المر المتكرر بحلقي!

لم يكن وصفه لي بالمحظوظ والنّاجي الوحيد في محلّه؛ نجوت من الموت حقا.. لكنني لم أُنج بعد من عالمهم الرّذيل...! هذه المهمّات وروحي التي يستنسخونها في أي جسد كان ليجبروني على خوض التجارب داخل كل كتلة أجد نفسي فيها دون حول مني ولا قوة ولأكون شاهدا على التغيّرات التي تطرأ عليها من حين إلى حين، ومحاولاتي للثبات في كلّ مرّة أهتّر فيها من هول المناظر التي أراها عند وصول الرسائل بطرق مرعبة تدفع بي للجنون... كلّ هذا يمثّل تحديًا قاسيا غير منصف لي؛ إمّا أن أفقد عقلي أو أن أفقده... لا خيار ثالث لهما ولا بينهما! حاولت الفرار مرارا ولكنني لم أفلح!

ذلك الجسد المسكين الذي قادوني له وارتكبوا في حقه جرائمًا قاسية، ذقت فيه من الألم ما يُهلك أمة كاملة؛ كريح عاد أو صاعقة ثمود! رأيت العذاب والتمسته وتجرّعته دون أن أستطيع حماية نفسي منه... عايشة الألم وكأنّ الجسد لي والحقّ أني مجرد دخيل عليه بقدرتهم! هل سأحاول مجدّدا من أجل الخلاص أم أكتفي بمحاولة الحفاظ على رباطة جأشي لمواجهة هذه الأصوات التي تصمّ الآذان

وذلك الطيف الذي اخترقني وصار يمزق أحشائي بقسوة.. وهذا السواد الحارق الذي خرج من حلقي تاركا فمي سيلا ذائبا من شدته.. ليس جسدي!! أفتح عيني لآخهما وكأني أحاول إخراج حدقتي من مكانهما.. للحد الذي صارت عنده مقلة عيني بارزة؛ بارزة بشدة.. أشعر بأن أوردتهما تتمزق، وألم رهيب في عيني اليمنى التي اقتلعت من مكانها وصارت كزبدة ذائبة ساخنة تساقط على الجفن أسفلها ونزيف يليها بسرعة.. منذ متى أستطيع الطيران! وكأن قبضة ما تحملني من صدري تاركة رجلي ومؤخرة رأسي على وضعيتهم المتدلّية.. شيء ما ينغرس بصدري! شيء يشبه الأظافر الحديدية! أظافر طويلة لعجوز مشعوذة دميعة الخلقة سوداء، منتصبه الظهر صلبة..! زاد عمق انغراس الشيء المجهول بجسدي وصار جلدي كالمطاط يصعد تارة وينزل تارة أخرى للأسفل، رخوا لا يثبت على وضعية.. ولم يكن الصراخ يفني بالعرض ولا حتى البكاء أو أي شيء.. مثل قطعة بيتزا خرجت لتوها من الفرن صار الجلد من على صدري ينتزع بانتباه وحرص جائع حتى كدت أنقب حنجرتي من قوة الصراخ.. الأرض أسفلي بنصف متر تقريبا.. كان كل شيء معكوسا! الذي يفترض به أن يوضع على الأرض صار بالسماء وما بالأعلى صار بالأسفل... بهذا الشكل كنت أشاهد المحيط بالمقلوب من رأس متأرجحة في الجو قبل أن تسقط فجأة ويرتطم جسدي بالأرض.. أنا الآن مجرد أشلاء ممرقة متفرقة والغريب في الأمر أنني حي الآن بعد كل ما حدث..! عندما يكون الموت آخر حل، وتكون فجأة في مواجهة

أقصى أنواع العذاب سواء كان نفسيا أو جسديا عليك الكفاح لآخر
نقطة فيك فأنت ستموت على كل حال..

لحظة! هل أنا في جسدي الحقيقي الآن؟ وهذه الموت التي
أراها..! أهي حقيقية أم أنه قد تم استنساخي بعد انتهاء المهمة
في ذا الجسد الذي لا يقوى على الحراك؟ ما كل تلك الطقوس!
أهي لشد الرحال من أجل سفر آخر لجسد آخر وربما لآخر أيضا؛
منقضٍ أو آتٍ!.. كل ما عليّ فعله الآن هو أن استمتع بالعذاب وأنتظر
الجواب، وأن أبقى معلقًا بين احتضار جزئي لجسد كانت روعي مجرد
ضيف ثقيل عنده وهلاك مؤكد وأخير لها (لروحي) ولجسدي لتكون
هذه هي النهاية...

الفصل الأوّل:

«...ستكون أنت أوّل قربان يقدم لهم... ملامحك البريئة وعيناك
البرّاقتان الممتلئتان بالأمل لا تنتميان لهذا المكان؛ لذلك ستكون أوّل
الضحايا...»

يعود صوت المضيفة من جديد «الرجاء ربط أحزمة الأمان وارتداء
سترات النجاة تحسباً لأيّ طارئ.. لا تقلقوا بشأن هذه الهزّات
الخفيفة في الطائرة، كلّ الأمور تحت السيطرة...» انقطع الصّوت على
إثر موجات كهربائيّة تدل على أنّ عطبا ما أصاب محرّك الطائرة..
كانت الوجوه شاحبة من شدّة الهلع وكأنها لأطفال صغار خطفهم
التوتّر والوحدة في يومهم الأوّل بالمدرسة، يحتضنون حقائبهم من
الخوف ينتظرون أي هلاك سيفتك بهم على غفلة في هذا الفضاء
الفارغ البارد.. هل سيغرقون في المحيط أم تنفجر بهم المركبة بين
تكتّلات السحاب هذه دون أن تنتظر السقوط حتّى ليصلوا فتاتا وبقايا
أشلاء وحطام لقاع الأزرق...؟ أو...! ربّما سيختفون... يختفون! دعك
من هذه الأسئلة الغيبيّة.. أنى لك أن تتكلّم أيّها الخائن الواشي؟ أنت
السبب الرئيسي في كل هذا.. نعم أنت...! سأخبرك بكلّ شيء
لاحقا.. هذا إن لم تلتهمنا السنة النيران طبعاً...

ها هو ذا الصوت يعود مرة أخرى «أعزّائي الركّاب! لقد وردنا اتصال
الآن من أقرب مطار إلينا يخبرنا بأنه قد تم إخلاء الطريق الخاص
بالطوارئ لتتمكّن من النزول فيه بأمان، ستعطف الطائرة براوية كبيرة

قليلا.. اربطوا الأحزمة.. أكرر! لا داعي للقلق.. هو مجرد عطب صغير لا أكثر...»

أكملت المضيفة كلامها مخلّفة وراءها قطيعا من الركاب مرتصّا في كراسيه يحملق في زوايا الطائرة، متتبّعا أيّ تحرك أو صوت غريب.. مركّزة بصرها على تلك النوافذ التي تمرر مناظر الموت من خلف زجاجها.. هناك من يتلو أدعية يناجي بها الرب حتّى يخرجنا ممّا نحن فيه، وطفل صغير لا يعرف ما الذي يجري هنا إلاّ أنّه يتسم لكلّ الوجوه برضى وكأنّه يريد إيصال معنى مجهولا! الجميل في الأمر أنه كان بجانب شيخ هرم تلقي تجاعيد ناصيته معزوفة من الأمل بين أصوات محركات الطائرة في هذا المكان الموحش، يسرد له قصّة طويلة رغم ضيق الوقت وكأنّ الحياة ما تزال طويلة لأنّ ينهيها له لأخرها ليخرج له بجمل مفادها: «أنّ البراءة في بداية العمر وآخره، وأنّ ما بينهما شقاء طويل الأمد كثير الكمّ...» لا أحد الآن ينكر ذلك العدد الهائل من الذنوب التي تخفيها سرُّ كلِّ نفس هنا؛ فهذا النواح لتلك المرأة في المقدمة يروي من بين صرخات الفرع هذه حكاية من ألف خاطئة وخاطئة.. وعويل تلك العجوز هناك يقول بأنّها لم تكتف من الحياة بعد ولم تعيشها؛ هي ليست مستعدّة للمغادرة الآن، وذاك الشابّ! بروده وجماده غريان؛ وكأنّه نام واستيقظ لدهر كامل كفاه العيش وما عاد يريد البقاء أكثر...! للحظة غزت موجة صمت غريبة أفواه الجميع الذي يترقب النهاية!! فجأة تعالت الأصوات في كل أرجاء الطائرة، الجميع يتمسكون بمقاعدهم بشدّة.. بدأت الطائرة في الانعطاف،

والكل سافر بخياله خلف تلك النوافذ محدثاً نفسه مستعرضاً شريط ما مضى من حياته أمام ناظريه.. هناك أرض أسفلنا يعيش فيها آلاف الحمقى، بل الملايين منهم.. بينما نحن نموت في الجو هكذا! تحتنا أزرق المحيط، وفوقنا أزرق السماء.. ونحن في دقائق سوداء تقودنا إلى الانفجار بين الأزرقين أو الغرق في عميق أسفلهما... أو ربما الاختفاء.. اختفاء؟ ألا تكف عن طرح أسئلتك الغبية هذه وتنتظر مصيرك معنا؟

في الحالات الحرجة عليك أن تفكر لا أن تتكلم.. أو ربما عليك الشعور بالذنب الآن لما ستحملة من أرواح مقتولة على عاتقك تحاسب عنها.. لماذا؟ رامو، رامو شيربوت.. هل تذكّرني الآن أيها الواشي اللعين؟ لم يكن عليك التكلم عن «الجريمة البيضاء» كما لقبتموها... تلك الجريمة التي أنقذت حياة الكثير من الشباب الذين قتل السجن أحلامهم ودفن طموحاتهم في الساحة الشنيعة تلك.. كما أودت بحياة الكثيرين ممن حاولوا التمرد على نظامه والفرار منه...! كان الغرض من تلك الجريمة زرع الحياة في النفوس المظلمة، التحفيز وقيادة المكبوتين إلى أحلامهم بعيدا عن إدارة الرّزّانة الفاسدة، بعيدا عن الدين المحرف الذي يخضع للسياسة هناك وعن رجال المال المتغطرسين.. إن هذا الثالث لو اجتمع في خير لنهض بالأمّة كلّها لكنّه وأسفاه اجتمع في عكس ذلك فأهلكها...! لم تكن قضيتي في ثلاثتهم.. كانت ثورة شبابية تقتل في نفوسهم التفكير في النظام الفاسد والدين الخاضع له والمال المسيرّ بطريقة خاطئة من رجاله،

وعدم الرضى بعيش حياة ذليلة.. ثورة انقلايية تقودنا وتقودهم نحو تحقيق أحلامنا جميعا بعيدا عن كل هذا.. لا تحتاج بالضرورة بيتا مثاليًا وأبا محترما أو ثروة طائلة وعائلة متديّنة لتحقيق حلمك، لتكون كاتبًا، رسّاما، رياضياً أو ربّان طائرة... لتعيش حياتك الصّحيحة التي تريد... فقط كن وطنًا صغيرا للطفّل، للشّاب، للشّيخ بداخلك، احتوي نفسك وانتمي إليك لا إليهم وعش من أجل قناعاتك الخاصّة لا قناعاتهم هم والتي يحاولون فرضها عليك..

كنت أحمقا حينما أخبرتك بمجريات الجريمة، لم أكن أدري بأنك لا تحفظ الأسرار ولم أفكر للحظة بأنك ستشهر بها هكذا.. لا تقلق! لن أسجن من جديد.. هناك ما سيبتلعنا بعد لحظات في الأمام هه.. إنّه المثلث الذي أخبرتك به سابقًا؛ بر... (قبل أن أنطق الاسم كاملا) تزيد الطائرة من سرعتها، ولكن هذه المرة للأسفل قليلا، إنّنا نسقط! هل هذا هو شكل النهاية؟ صراخ وكأنه عويل ذئاب مسعورة! هذا كلّ ما تعرفه النساء عادة وما تجيد فعله في المآزق.. بكاء ونواح وأصوات غريبة تزيدك ارتباكا وذعرا.. ورجال في ملامحهم قسوة وصدمة بالكاد يصدقون أن الموت على مقربة منهم وسيحتويهم في أيّة لحظة.. يدوي انفجار في مؤخّرة المركبة.. لم يستغرق دخان النيران دقيقة حتى صار يجتاح كلّ الطائرة من الداخل.. تلك اللحظة المتردّدة! عندما لا تعلم ما عليك أن تفعل؛ أن تسعل من جوف بطنك لتريح حلقك وتصرخ بأعلى صوتك أم تكثفي بالاستسلام للموت.. هكذا أصبح الحال بين الركاب.. ما زاد الموقف حرجا وتوتّرًا هو صوت انفجار زجاج إحدى

النوافذ الكبيرة مع بلوغ ضغط الدخان ذروته.. صار الهواء المحمل بالدخان يخرج بسرعة هائلة، سقط جمع غفير من الركاب من على مقاعدهم وتعالّت أصوات الصراخ أكثر ممّا كانت عليه وكأنهم ينادون الحياة يتوسّلونها أن ترجعهم ليحظوا فيها بأيّام أخرى.. ليت الناس في تلك الأرض أسفل هذه الطائرة-التي ستفجر في أيّ ثانية بعد كل هذا الخراب الذي أصابها- يعلمون بأنّ في يدهم متسع من الوقت للحب، للخير، للصلاة ولكلّ الأشياء الجميلة... كانت تلك النافذة هي نفسها التي بجانب ملامح بداية العمر ومشارف نهايته؛ الطفل الصغير والشيخ الهرم اللذان منعتهما الضوضاء السائدة في هذه الأثناء في المكان من الاستمتاع بباقي الحكاية.. أو ربّما قد حكاها له كلّها وانتهى وهو الآن يسقط من ثقب النافذ يسمع باقيها في الجو ثم يموت ليختصر كلّ الذي كان ليحدث لو أنّه بقي حيّاً... نعم قذفته الطائرة هذه الأثناء إلى الفضاء معلنة خسارة أول الركاب وكأنها تقول له «ستكون أنت أول قربان يقدّم لهم، ملامحك البريئة وعيناك البراقتان الممتلئتان بالأمل لا تنتميان إلى هذا المكان؛ لذلك ستكون أول الضحايا...»

على ما أظن لن يبتلع الثقب شخصا آخر بعد أن اقتلع الهواء المتسارع الكرسيّ الذي بجانب النافذة وجذبه إليه حتى غطّاه بأكمله.. ليس قبل أن تنفجر ثلاث نوافذ أخرى وصوت صعقة كهربائية في مقدّمة الطائرة أشعلت شرارتها نارا خفيفة بأحد زوايا مقصورة القيادة وزكّتها ليزيد لهيبها.. يحاول الجميع التشبّث بأيّ شيء متين بالقرب

منهم حتى لا يختل توازنهم.. حتى الرجال الشداد لم تخل أجفان
عيونهم من دموع البكاء فاختلطت أصوات نواح الجنسين دون أن
تستطيع التفرقة بينهم أيهم صوت المرأة وأيهم صوت الرجل لأن بكاء
الموت واحد.. وها هي تلك الثقوب تلتهم الدخان وبعض الكراسي
محاولة بعدها أخذ ما تبقى من الركاب بعد أن تلذذت بروح طفل
صغير قبل لحظات.. ومن قوّة الدفع هذه استأصلت الريح الباب
بأكمله؛ الباب الذي كان بجانبني.. هل حان دوري الآن لموت أم أن
أحد هذين الرجلين المؤنقين بهذا الزي الأسود الرسمي سيفدني
ويذهب مكاني؟ حارسان كانا يرافقاني طيلة الوقت يكبلاني في
هذا الكرسي الخاص المتين... فجأة وقبل أن أنطق يخلع الكرسي من
مكانه ويطير في الجو حاملا جثتي نحو الخارج محررا جسدي من تلك
القيود، على الأرجح أنني سأحتفي وأكون اللاشيء بعد ثواني قليلة من
الآن.. كانت أجزاء من الثانية حتى وجدت نفسي أقذف بعيدا في
الفضاء لتلتهمني الرياح والظلام، الظلام؟ من أين حلّ هذا السواد؟
كنت أظن أن الساعة تشير إلى وقت الظهر.. ما هذا! ويدوي
فجأة صوت رعود قاسية بعد أن كان الجو مشمسا! وكأنها صرخات
غاضبة! فجأة أرى في الأعلى بين الغياهب صورة انفجار كبير.. هل
يعقل أن تكون الطائرة قد لقت حتفها وأنا ما أزال أسقط من بين هذا
السواد إلى الأسفل أين يكون السواد الأشد..! سيحتضني المحيط
بأجمل غرق بعد أن نجوت من تشتت اشلائي في ذلك الانفجار..
تمطر السماء هذه اللحظات حطاما من بقايا الطائرة وبعضا من أجزاء

الجثث الممركة في مشهد رهيب مغطية مساحة شاسعة بمحيط هذا الفراغ الذي يحمل في جوفه طائرة قد صارت قطع غيار تتساقط بكثير من النيران التي لم يستطع الريح إخمادها وهي متشبثة ببعضها محكمة بل زادها حدة وشرورا .. وجثث لأناس صارت تتهاطل بسرعة حتى سبقتني للأسفل من شدة قوة انفجار وقذف الطائرة لهم، وكأنه مهرجان للمناطق المبهجة يزينون السماء بسقوطهم وألوان ملابسهم الزاهية المشتعلة والكثير من الحقايب وغيرها من بقايا الموت على أشكال قطع من الحديد بمختلف الأحجام والهيئات.. حتى وإن نجوت من عدم اصطدامي بأي كتلة حديدية قد تمرقني قبل وصولي للأسفل بسلام فإنني لن أنجو من الموت بطريقة أخرى محتمة... سأموت على كل حال.. فاجأتني لكمة قوية على غفلة مني انتشلتني من شرودي، لكمة من ذراع قد فرت من صاحبها لتصفعني بقسوة حتى اختل توازني وتوتر جسدي الذي كان يسقط بطريقة هادئة نحو الهلاك.. ليست الطائرة وحدها من صارت قطع غيار، غير صالحة للتكرير فحتى الأشخاص قد تفرقت مفاصلهم في كل مكان من هو الحادثة.. تغيير لون الظلام فجأة.. يا إلهي! ما هذا؟ ألوان الشفق القطبي ولون أحمر غير لطيف يؤدي العين من شدة توهجه حولي وفي كل ناح أوجه له بصري.. هل أنا أحلم أم أن هذا هو الموت؟ لم أعد أنكر أن تلك الأصوات المزعجة لم تكن رعوذا بل صرخات قاسية وكأنها وحوش ترمجر في الجو من كل نحو و صوب.. ظلام شديد حيث بالكاد أستطيع رؤية كفي.. لم تختفِ أصوات الصراخ ولهب النيران وسرعة

سقوط حطام الطائرة من حولي ولكن الصورة قد تلاشت وراحت في الأفق تتوارى خلف هذا الظلام الذي صار يرعيني أكثر مما أنا عليه من هلع وذعر.. وحتى سرعة سقوطي قد تباطأت ولم أعد أرى أسفلي فقد أخذ سواد الظلام حصته من المحيط أيضا.. كنت كلكمة من قبضة يد شديدة سريعة جدا تنزل من صاحبها لتضرب كومة من الرمال محاولة اختراقها ولكنها بمجرد ملامستها لسطح الرمل صار الغوص صعبا برغم الإصرار على جعلها تتعمق أكثر.. مثلي أنا الذي كان يسقط بسرعة كبيرة جدا ولكن توقّف السقوط فجأة مع احساس غريب في جوفي يخبرني بأنني ما زلت أسقط وكأني أقف في مصعد كهربائي سريع، منتصب فيه دون حراك.. ولكنني أشعر بالهواء تحتي يعاكس اتجاه حركتي.. أقف مستسلما دون حراك وسط ظلام شديد وألوان شفق مريضة، بين صوت صفير الرياح المعلننة عن سقوط ما يزال يجرنا لحتفنا.. فجأة أسمع أصوتا مضطربة للمحيط أين يستقبلنا بدجيج الارتصاص الذي يدخلنا لجوفه بصوت المياه وملوحتها وتضارب الأمواج وهيجانها..

هل سنغرق؟ بل نحن وسط الغرق! كيف لا نموت؟

نزل مثل غواصة قد أسدلت الستائر الداكنة اللون على ركابها لينعدم النور داخلها فلا يرى من فيها غير الظلام ولا يسمعون شيئا عدا حركة المياه العميقة من كل مكان؛ يشبه صوتها ذلك الذي قد يسمعه رياضي غطاس في تلك اللحظات التي يكون فيها أسفل

المسبح الخالي من الكلّ ما عداه، حين تتشنج عضلات ساقه وتشلّ حركته... هل أنا سعيد الحظ بالحياة هذه اللحظة، أم أن كل هذا شكلا آخرًا للموت!

أمور خارقة للطبيعة! ليس لديّ متّسع من الوقت من أجل الاستفسار.. إمّا انتظار الموت أو الدخول لعالمهم.. عالمهم؟ ألم أمرّك بالتزام الصمت أيّها الأحمق! ستعرف الكثير إن نجونا؛ ستدرك أين نحن ومن هؤلاء وما هذه الغرابة وغيرها... وستندم بعدها عن تفوّهك بـ «الجريمة البيضاء» وجعلها تنال شهرة ولو صغيرة ممثلاً دور القارئ الذكي، هه هذا الدّور لا يناسبك أيّها الغبي اللعين.. نعم، أنا المجرم «رامو» نجاح صغير كان كافياً لإحداث كل هذه الفوضى والتسبّب بهذا الهلاك الذي سيحتويها بعد قليل.. أو ربّما قد تحدث أشياء غريبة أخرى لا أعلمها في أيّة لحظة..

يعود صوت الرّعد مرة أخرى بعد ومضات من البرق وكأنه أسراب نسور جارحة تحلّق في الفضاء.. لم يكن يشبه الرعد! بل يشبه صوت الوحوش الأسطورية التي نسمع عنها في حكايا الجدّات المرعبة.. نعم، كان حدسي صحيحاً؛ هذه الأشكال التي خرجت فجأة من العدم مخترقة الجو لتظهر بكامل غرابتها ورعبها الذي يهز القلوب من شدة تسارع النّبض المضطرب.. كيف أصفها! ليس لها شكل ومع ذلك يمكنني رؤيتها! وليس لها أثير صوت واضح ولكنّي أستطيع تمييزه وفهمه في الأخير.. وكأنّ طاقة ما زادت إلا قدراتي البشرية

البيسطة.. كل ما أعرفه الآن وما أنا متأكد هو وحشية منظرهم وقسوة لفظهم الذي يحاول إخافتي فوق ما أنا عليه من خوف كبير.. يخرجون من اللأ مكان وكأنهم أطياف تأتي من الظلمة على أشكال لا قالب ملموس لها ولكن يمكنك تمييزها..! صاروا يحيطون بي من جميع النواحي، حتى غدوت داخلهم في غيب سواد أشد حلقة من الظلام الذي كان يطغى على المكان قبل هذا.. نعم، لقد اختطفنا وتلك الخوارق عن هذا المكان لم تكن مجرد خرافة.. أين نحن؟ في مكان بعيد عن أرض البشر حيث لا وجود لشيء عادي، إلا كل ما يخالف الطبيعية.. وجنس كان قبل وجودنا نحن البشر منذ القدم..! لا أشك للحظة في كونهم مسالمين! أرجح أن تلك الاضطرابات المفاجئة التي حدثت في الطائرة دون سابق انذار كانت بفعلهم! كان لهم يد فيها حتى يجروا بنا إلى هنا.. نحن الآن مختفون عن الكل ولن تستطيع الرادارات تقفي آثارنا ولا الصندوق الأسود الخاص بالطائرة سيساعدهم في البحث عن بقاياتنا والتحقيق في أمر اختفائنا.. هنا قد تلاشت تلك البدهة البشرية فور دخولنا إلى عالمهم.. من هم! وأين نحن؟ وما الذي سيحدث...؟ وغيرها الكثير من الأسئلة التي تبحث عن إجابات فورية شافية...!

الفصل الثاني:

«... لست ربك... لكنك ستعبدني دون حول منك ولا قوّة..
لا! ربّما بحول وقوّة وبكامل إرادتك..! جميعكم يعرفني حقّ معرفة
والجميع يعبدني في غفلة قد تكون متعمّدة منه وقد لا تكون...»

في أمسية جميلة من أحد أيام كانون الأوّل أو بالأحرى في آخر يوم من ذات الشّهر بالتحديد.. في مكان منعزل عن صخب المدينة التي كانت تعيش احتفالا يليق بمقام رأس السنة، في ضواحي لوس أنجلس.. داخل كوخ صغير بجانب الطّريق السريع، أول منعطف وسط الغابة.. بمحاذاة الوادي عند التّافورة.. يبدو هذا المكان مألوفا! وفي هذا الوقت على التحديد؟ إنها تلك الليلة السوداء التي راح ضحيّتها أربعة رجال إثر انفجار وقع في المكان خلف وراءه خرابا ورمادا لتلك الأجساد والبيت الذي حوّاها، حادثة شنيعة هرتّ لوس أنجلوس بعد أن تم اكتشاف خيوط الجريمة.. لماذا وكيف وغيرها من عبارات السّؤال تساقطت بكثرة كوابل حمم على القضية، أين أطلقوا عليها في الأخير اسم «الجريمة البيضاء» بعد أن أغلقوا ملف الحادثة بأمر من الملازم... «وجدوا جثتا لأربعة رجال وللأسف لم يتم تحديد هويتهم لاحتراقهم بالكامل، كما أنّنا لم نجد أيّ دليل أو آثار لقبلة ما أو أيّ سلاح آخر.. وهذا ما يجعلنا نرجّح بأن الأمر كان حادثة طبيعية بشكل مؤكّد؛ لأن أسلاك الكهرباء تالفة قليلا هناك ونظنّها هي السبب الوحيد لكلّ هذا...» الجميع توقف عن التفكير في هذه الحادثة، الكلّ نسي أمرها تماما.. وانتقلت بعد أن تحرّرت منهم إلى

مسقط رأسي.. نعم، قد تحررت منهم ولا داعي للإنكار الآن بعد أن اكتشف الجميع أمري بين سطور مخطوط سبق وأن تم نشره بعنوان «الجريمة البيضاء» من طرف أحد الكتاب المتعاطفين والذين يحبون مثل هذه المغامرات وقد ساعده مجموعة من القراء لفعل ذلك..

رامو! كنت قد فقدت ذاكرتي في ذاك السجن اللعين وبعد إطلاق سراحي منه بدأت أستعيد شيئاً منها تدريجياً.. شيئاً فشيئاً حتى صرت أشك في أنه ليس اسمي الحقيقي، مسلم من أصول جزائرية لا يمكن أن يحمل مثل هذا الاسم! لا يهم.. رغم كل الذي مرّ أرى بأنه قد راقني ولا أظن أنني سأتخلى عنه؛ سأواصل باقي حياتي بهذا الاسم..

هل هي دانا! نعم.. تأخرت في النزول من الطائرة، كسولة كعادتها.. «مطار هواري بومدين».. كيف لغير مسلمة أن تقيم هنا وتتعايش مع هذه البيئة خصوصاً وأنها اعتادت العيش ببيئة مختلفة تماماً عن هاته!! هل سنستقر في هذا المكان للأبد؟ وهل سيكون مرحباً بي وحببتي في عمق البلاد؟ هذا ما سنعرفه بعد القليل من الأيام القادمة..

المسلم يحاول عبادة الله بالشكل الذي يراه صحيحاً، المسيحي يحاول عبادة الله بطريقته الخاصة، اليهودي هو الآخر يعبد ربه الذي يعرفه بطريقته.. وغيرهم من الناس كلّ كيف يرى الله ويتقرب منه.. بين صحيح يدرك أنه على صواب وصحيح يجهل ذلك، ومخطئ لا يدري في ماذا هو مخطئ! ألا يكفي أن الجميع يحاول عبادة الله؟ أمر

يستحق البحث حقًا..

بين الغربية والوطن، أشتم الهجرة من على بُعد مساحة الجزائر كاملة وأتظنها ككلّ شبابها الذي سئم الوقوف الخاوي بطريق النموّ العقيم حتى يصل آخره وينتهي..

«خو طاكسي» هذا ما ستسمعه كثيرا عند نزولك في محطة «خروبة» للنقل البري بالعاصمة، وصراخ الباعة من المطاعم والمقاهي؛ كل شخص منهم يحاول اختطاف بطنك وانتشال ما بجيبك قبل أن يفعل الآخر.. استرحنا تلك الصبيحة هناك واستقلينا «طرامواي» ومن ثمة الحافلة وبعدها سيارة الأجرة لنصل في الأخير لوجهتنا ونحجز في أحد فنادق «ساحة الشهداء» لسوء حظنا لم نختر واحدا جيّدا وأكثر راحة بسبب التعب والإرهاق الذي افتك بجسدنا.. الجميل أننا كنا بجانب المسرح الوطني.. بجانب المقهى العريق المسمى بـ«طونونفيل».

عندما يكون الفن في الجوار فالراحة مؤكّد أنها ستسكن بالأنفس...

كانت ليلة هادئة، أخذت حماما سريعا وارتيمت بجانب «دانا» التي أخذت تداعب شعري حتى غطّطت في نوم عميق كصبي صغير أنهكه تعب الركض والتنطّط في كلّ مكان طوال اليوم..

ال 7:45 صباحا.. مرت تلك الأضحية بين إفطار و«ميطرو» ووسائل

نقل أخرى لأجد نفسي في...

«خو طاكسي؟»... (ناداني الصوت).. اكتفيت بالتلويح له بالشكر
قاصدا عدم حاجتي لسيارة أجرة.. خرّوبة من جديد.. يا له من حقير!
لم يكتفي بنظرات الغضب لعدم استئجاري لسيّارته، بل وزاد عن
ذلك دفعي للخلف قليلا عند ذهابه لباقي الناس في طابور الانتظار
الخاص بالحافلات.. بينما كنت أنا متوجها إلى داخل المحطة لأحجز
مقعدين لي ولحبيبتي دانا نحو الجنوب؛ إلى «الجلفة».. يوم سيّء
منذ بدايته! رجال الأمن يعيقون سير الناس ويوقفونهم عند الباب
لبحث مكثف وتفتيش دقيق في حقائبهم على غير العادة..! دام
الحال هكذا لما يقارب النصف ساعة.. قارورة من مشروب الطاقة
«TNT» كفيّلة بجعلي صبورا قليلا، تركت دانا بقرب الحقائق
وتوجهت لأحد المحلات بالخارج في الجهة الأخرى.. كان المكان
مكتظًا لآخره! هل سأنتظر أم أرمي لعنة شاملة لكلّ هذه الوجوه في
داخلي وأعود أدراجي..؟

قد يكون كل شيء جميلا في هذه الحياة، إلا رجل منافق، فتاة
مغرورة وطابور انتظار..

لحظة! انعكاس وجه مألوف ظهر لي فجأة في المرآة داخل
المحلّ هناك لصورة من الخارج في الجهة الأخرى..! ألا يشبه ذلك
المتعجرف صاحب سيّارة الأجرة؟ ذاك الذي دفعني قبل قليل..
نعم! إنّه هو نفس الرّجل بالتأكيد.. ما الذي يفعله هنا؟ آه...! لربّما
وجوده مع أحد رجال الأمن بسبب تجاوز قد قام به أو لدفع غرامة

ما... سحقا له! يستحق ذلك وأكثر.. تبا لملامحه التي تتكلم بهذه الطريقة المتعالية الآمرة وكأنّ له نفوذا كبيرا في المحطّة فقط لكونه عاملا منذ زمن بعيد هنا، يظهر ذلك على خصلات شعره البيضاء التي تخلّلت السّواد برأسه..

ما هذا؟ إن الأمر بات غريبا بطريقة تدعو للرّيبة! حينما عدت لدانا وجدت نفس رجل الأمن يفتش حقّيتي وبحرص شديد! يفرغها ويعيد تفتيشها بدقّة.. رماني بنظرات ثاقبة غاضبة وفور وصولي ووقوفي أمامه، ومن ثم مال برأسه قليلا إلى اليسار يركّز بصره على شيء ما خلفي وكأنيّ بشر من البديهي أن ألتفت أيضا لأرى خلفي بفطرة فضولية.. شاهدت رجلا أشيب الشّعْر، من الملاحظ أنّه في نهاية عقده الرابع بفمه الفارغ تقريبا من الأسنان توجد سيجارة ملتهبة تكاد تنتهي وبعينيه شرارة غضب وحقد دفين وكأنّه ذي معرفة سابقة بي! إنّه نفسه! رجل سيّارة الأجرة المتعجرف! تبادلنا ابتسامة خبيثة وراح ينفث دخان سيجارته في الجو مغادرا المكان بعدما استنشقت كميّة كبيرة منها وهذا ما أظهره الإحمرار بآخر السيجارة الذي بلغ عقبها..! ما زادني حيرة هو أن الأمور كانت طبيعية بشكل غريب! طبيعية للغاية إمساكي بيد دانا على غفلة منها وجذبتها ناحتي حتّى قابلتني بملامحها المريحة مبتسمة لي وأكملنا ذلك بحضن عميق وكأنّه الأخير لنا.. تبا! لا يروق لي الكلام عن نهاية الأشياء الجميلة حتّى وإن كانت حتمية الوقوع..! مضت ساعة فيها كان حجز للأماكن وانتظار قليل وبعض الغرابة قبل التوجّه للحافلة الآن على الرصيف

المقابل.. أمور كثيرة تحدث اليوم على غير العادة! لم أعهد أن تغادر الحافلات في بلدي أماكن توقفها خاوية هكذا! ولكنه أمر جميل يوقّر لنا الرّاحة في رحلة شاقّة نحو الجنوب.. أخذ العامل منا الحقائب وراح يرثبها في مكانها المخصّص بالحافلة، هذه الأثناء كنت أداعب دانا كفتاة صغيرة أزعجها فأثير غضبها حتّى تسمح لي بتقبيل جبينها بعدها لتهدأ كما اعتدنا، وفي اللحظة التي سعدت فيها لأوّل درجة في الحافلة استدارت لي وقالت في مرح:

-هذه الدّرجة كافية لأن أكون بنفس طولك أيّها الأبّ...-

فجأة تخرج أيادٍ خشنة لرجال شداد من الحافلة الفارغة فتجذبها نحو الدّاخل وتختطفها لتغلق الباب على الفور! لم تصل لكمّتي لذلك الباب اللّعين حتى أتت صعقة من جهاز كهربائي محمول، غالبا ما يكون عند رجال الأمن؛ صعقة أردتني طريح الأرض مغشيًا عليّ.. أسمع صوت محرك الحافلة على بعد مسافة كبيرة جدًّا برغم وجودي بجانبه! وبعض الصرخات كأنها تخرج من عمق دوامة ما..! تهت في ظلام عينيّ المغلقتين لثوان وفتحتهما بصعوبة لأجد أن الحافلة قد غادرت مكانها.. وأرى رجالا ملثمين يحملونني إلى سيارة سوداء هناك! أخرجت حروفا مختنقة بصعوبة محاولا الصراخ:

«دانا!... دانا...»

قبضة يد تهزك تنفي بشدة، وصفعات خفيفة تلامس وجهي.. خلت نفسي سأفتح عيني على شيخ بـ «برنوس» أو قشبية» عريقة يحاول إيقاظي أو عجوز تفوح من كفها رائحة الحناء.. تمنيت للحظة أن أجد نفسي مغمى علي في أحد شوارع حي الغزال، بن تيبة أو بيلومبراج أو شيغيفارا وغيرهم.. وكل ذلك مجرد حلم، لم تكن الجلفة. ولم تكن الجزائر ككل! أين أنا؟...

فتحت عيني أبحث في الجوار، أحملق في تلك الكراسي والسقف الحديدي، الناس، الأضواء والنوافذ وصوت محرك الطائرة.. الطائرة؟ رفعت يدي لأفرك جبيني في حيرة من كل هذا، جزيئات يدي الأثرية وصلت ويدي ما وصلت.. شدها حزام انتبهت له مكبلا كل جسدي في هذا الكرسي، حارس على يميني وآخر على اليسار.. أين أنا؟ وإلى أين هي الوجهة.. حياة بأئسة حقا

من بين الجرائم التي يخافون اطلاق عليها اسم جريمة ومع ذلك يعاقبون عنها هي الكتابة، سيسبك بعض الغرباء بلا سبب وسيهينك البعض الآخر.. ويخسرون كثيرا من الوقت يفكرون في طريقة لإحباطك وهذا ككل فقط لأن كتبت.. مثال بسيط

جريمتي كانت من أجل الحرية، والبحث عن الحرية ليس جريمة

صوت المضيئة... «أعزائي الركاب، ارتأينا أن ننوه لهذه الهزات الخفيفة في الطائرة ونعلمكم أن كل شيء تحت السيطرة.. لا داعي

للقلق...» الجميع كان يظن أن الأمر تحت السيطرة حقا.. ولكن ذلك قبل أن تتكلم المضيضة لأن كلامها لا يبشر بالخير على الإطلاق، نصف ساعة ويعود صوت المضيضة من جديد «الرجاء ربط الأحزمة وارتداء سترات النجاة.. لا تقلقوا بشأن هذه الهزات الخفيفة في الطائرة، كل الأمور تحت السيطرة..» وانقطع الصوت على إثر موجات كهربائية تدل على عطب ما.. كانت الوجوه شاحبة من الخوف وكأنها لأطفال صغار يزاولون الدراسة في يومهم الأول... أنت تعرف الآن كل شيء، عن كيفية وصولي إلى الطائرة، عن تلك الحوادث المفجأة وعن الانفجار ووقوعنا في مثلث برمودا.. نعم، هذا الظلام والأصوات المخيفة والأشكال المرعبة وحتى انفجار الطائرة كان بسبب هذا المثلث اللعين..

والآن! أنا وأنت أيها القارئ من نجونا من انفجار الطائرة وامتلكنا فرصة الدخول إلى عالمهم بسلام، لحد الآن بسلام.. ويمكننا معرفة القليل لأول مرة من جنس البشر عن هذا المثلث الشيطاني..

صوت تهتز له القلوب وتشمئز من بشاعته يدوي في الفضاء، لم يكن للصوت معنى مفهوما.. ولكن يمكن لأي كان معرفة الرسالة التي يقولها بشكل من الأشكال، مرحبا بنا في عالم الخوارق التي لم يعهدها إنسان من قبل، وها هي فرصتنا لنكون أول بشريين عاشا في عمق برمودا، كان يقول بقوة شديدة...

-أيها الناجي الوحيد...

وحيدا! إذا هو لا يراك أيها القارئ الأحمق، وشيت بي وصرت تختبئ وراء الأوراق تتجسس علي من بعيد..

-لست ربك... لكنك ستعبدني دون حول منك ولا قوّة.. لا! ربّما بحول وقوّة وبكامل إرادتك..! جميعكم يعرفني حقّ معرفة والجميع يعبدني في غفلة قد تكون متعمّدة منه وقد لا تكون...»

هل فكرت لمرة في أنك ستقابل عزازيل ذات يوم؟ تتكلم معه! توكّد عبوديتك له؟ في المكان واللا مكان معا! أنت عبدي المخلص الآن وسأمارس بعض الألاعيب عليك لأستخدمك...

وسوست لك للكذب والرشوة.. للنفاق والخيانة وغيرها... هل ما زلت تنكر أنك عبدي وكل هذه الطقوس عبادة لي؟ مع أنك كنت تعرف أمر الوسواس وتعرف الخطأ من الصح إلا أنك كنت تفعل كل ذلك بأريحية تامة؟

عبدي الوضيع، أنت ناج بقدرتي الآن.. مرحبا بك في جنة برمودا، حيث لا مكان إلا للخوارق والشياطين منذ القدم.

أما الآن ستعرف الكثير عن شياطين من نوع آخر غير الذي تعلمه.. شياطين البشر! عالم آخر أشد سوءا ونفاقا من عالمنا...

لنتنقل للسبب الذي دفع بي لأن أهديك هذه الفرصة والسماح لك بمقابلتي... قرينك رائع جدا.. أخبرني عن «الجريمة البيضاء» وكيف مارستها وكيف أنها كانت محبوكة بعناية تامة.. نحتاجك كثيرا

معنا، لتكون أحد شياطين البشر.. تابعا لنا وحيا ترزق بينهم، لست الوحيد الذي قام بهذا الأمر! فكثير جدا من أبناء البشر ممن تقابلهم يوميا هم تحت إمرتنا، تبعيتهم لنا ويتدثرون برداء البشرية كذبا لأجل بعض المهمات التي نحتاجها ويحتاجونها على كل حال..

هل تتذكر صاحب سيارة الأجرة، ورجل الأمن! والرجال الذين اختطفوا دانا وكذلك من قام بصعقك خفية ليفدك وعيك... وغيرهم الكثير.. كلهم شياطين من البشر، جنسهم الغالب شيطاني أصله منا وذاك ما جعله تابعا لنا.. كل شخص منكم قد يتصادف في حياته مع عشرات ومئات الناس في اليوم الواحد من يدري! ربما هناك الكثير منهم ليس بشرا حقيقيا.

ومع ذلك يعيشون معكم أيها البشري الأحمق في سلام دون أن تتبه لهم..
-المعنى!...

ها أنت ذا تحت رحمتنا، في عالمنا.. بين قبضتنا التي يمكنها قتلك في أي لحظة.. أو سجنك للأبد في عالم أسفل من هذا بكثير...

-إذن!...

إذن هل تقبل أن تكون شيطانا إنسيا لنكمل باقي الطقوس ونجعلك تعود لأرضكم العجوز وسكنك بين ذويك من البشر! أم تموت...؟

وربما ترمى في العالم الأسفل أين لا أحد سيهتدي لك ولا أحد سيرأف بك...

الفصل الثالث

«...في تلك اللحظة ستتوقف كل مشاريعك، مواعيدك، وكل تفكيرك في الأصدقاء والعائلة سيتوقف... لن يهتمك ضياع وظيفتك أو رسوبك في الامتحان.. لن تفكر بألم خسارتك لصديقك أو فراق حبيبك... ولن تبالي بأي شيء.. فقط تسترخي وتموت!...»

السبت 12:30 PM

هذا الكسل مألوف عندي، الخمول في وقت الظهيرة دليل على استيقاظ متأخر، المزاج المتقلب والانفعال الزائد لأصغر الأسباب... كل هذا يشير إلى بقايا شاب تائه ككل أقرانه من الشباب البائس في هذا البلد...

لكن...! شيء ما غريب هنا! ما هذا المكان؟ ودلائل هذه الثراء الفاحش أمامي! هل أصبحت غنيا فجأة؟ صداع رهيب، حلبة صراع ثيران في أوج هيجانها في رأسي.. أحس بشيء ثقيل الحركة يدب في داخلي، وكأن أحدا ما يكلمني في مخيلتي! ما هذا؟

دخل رجل بدين له ذقن ضخمة بارز أمامه بزي أسود رسمي يشبه الذي يكتسيه رجال البرلمان.. وقف أمامي وصرت أكلمه دون أن أحرك شفاهي! ما هذا؟ لا تظهر عليه علامات التعجب؛ لا أراه محتارا من الأمر...! لم يدم النقاش طويلا ليعود أدراجه من حيث أتى ولتعود لي القدرة على التحكم في نفسي من جديد.. وكأن هناك انفصاما قد أصابني؛ فصل بيني وبين شخصية أخرى.. من يكون ذلك الشخص؟

وما الذي يقصدانه بالحوار الذي دار بينهما..؟ بين نفسي التي لم أتحكم بها وصارت مستقلة عني وبينه! ما فهمته هو أنه قد أعطاني شيكا بمبلغ هائل بالإضافة إلى فيلا بجانب البحر ورحلة إلى هاواي.. يا له من كريم..! لم أتفاجأ -أنا الجسد- من الأمر الحادث وكأني كنت غنيا من قبل ميلادي... أو بالأحرى لو لم أتحكم في نفسي -أنا الروح- قبل قليل لكنت رفرت من السعادة.

علمت بعد مدة ليست بالطويلة بأن ذلك البدين يكون أبي.. أحد أكبر إطارات الدولة ولكن كل هذا الترف الذي أعيشه وهذا المال الذي يبذره لأجلي مع أنني مكثف ولا أحتاجه لا يريحني.. أليس هنالك فقراء أحق به؟ ليس بكونه كريما أو بخيلا، بل لأنه مسؤول عنهم بحكم عمله..! صارت نفسي تشمئز من تلك الشهادات المعلقة بالجدار للبيكالوريا والجامعة وغيرها من الشهادات الكاذبة والتي أوجت لي روعي في هذا الجسد المنفصم بأني لم أتحصل عليها لأنني استحققتها أو سعيت لها وأنها كانت طازجة هكذا دون أدنى تعب.. حتى تلك العالمة التي أخبرتني قبل قليل أنني سأصير مندوبا حكوميا في أي قطاع أريده بلا أي كفاءة أو شهادة؛ فقط بوساطة أبي العامل هناك و... لحظة! لم أشرح لكم الأمر؟ غبي...!

حسنا.. بعد أن كنت محتجزا في تلك الأرض الخارقة للطبيعة؛ المخيفة.. بين يدي «بافوميت» الذي تولى أمري، وبعد إرغامي على الموافقة بأن أكون شيطان بشريا في أرضنا ولكن تابعا لهم ولمهماتهم

التي تبدو سهلة لحد الآن... احتجزوا جسدي عندهم وصاروا يحركون روحي كيفما شاءوا ويجعلونها مستنسخة في أي جسد يريدون.. ليكون هناك انفصام بيني وبين صاحب الجسد الأصلي مع إمكانيتهم في دحض شخصية صاحب الجسد في أية لحظة يريدونها لأقوم أنا بما هو منصوص علي، وأنا الآن في جسد هذا الشباب العشريني الذي لم يكن راضيا بشهادات مزيفة وعمل دون كفاءة وتعب وأجر دون كد... أنا هنا لأوقع الأوراق بدلا عنه، على كل كلهم شياطين حقا وقد أثبتوا بجدارة شيطنتهم..

ال 2:32 AM ..

ضجيج منبعث من خلال نافذة لا أدري من الذي فتحها وأنا الذي كنت قد أمرتهم بإغلاقها! لا أشك أنهم ينسون طاعتي هنا، تبا..! قمت بكامل خمولي بالكاد أقوى على الحراك.. حتى أنني وجدتني من شدة الكسل نسيت نزع لباس العمل ونمت بحالتي تلك على غفلة، أمسكت بمقبض النافذة محاولا إغلاقها فإذا بي أتحسس أناملا رقيقة خلفي تمسك بياقة قميصي وكأنها تساعدني على نزعه.. هذا المكان مليء بالخدم، بينما نحن لا نخدم الشع ...

استدرت للخلف.. من!! أين ذهب؟ من كان هنا؟ لم يكن هناك أحد حتى النافذة التي أغلقتها ها هي تفتح من جديد لوحدها دون

أن يقربها أحد..! من أشعل التلفاز! كيف للمصاييح أن تنطفئ ثم تتوهج باضطراب هكذا؟ فجأة يخرج شهاب سريع يمزق الجو كقماش حريري ليضربني بقسوة قبل أن أنظر إليه ثم يختفي في لمح من البصر، احتضنني السرير من خلفي ومساحة وجهي الصغير تغطي عليها ملامح الخوف والرعب حتى تكاد تخفيه.. وصوت بكاء طفل أسفل النافذة... بكاء طفل! إنها الإشارة... ما إن تقدمت بسرعة نحو النافذة لأتحرى الأمر حتى أحسست بقبضة يد طيفية تطوق عنقي تحملني منه محاولة رمي من النافذة للأسفل من هذا العلو الشاهق! أين الطفل؟ ما مصدر هذا البكاء...؟ رياح باردة، ضباب شديد و...

ثلاث ساعات تمر.. بيت فاخر آخر.. أو لأقول قصرا آخر! لكنه لا يشبهه سابقه! هذه المرة لست موجودا في جسد شاب يافع كالاستنساخ السابق لي، بل في جسم شيخ هرم لا يقوى على الحراك.. هذا المكان لا يشبه البيوت التي رأيتها سابقا! هل هذه شركة ما؟ وكيف لبرنامج الزمن بالجدار أن تشير ليوم الجمعة؟ الزمان يعود للخلف أم أنا من تقدم أسبوعا كاملا في طرفة عين!! على كل حال الأمر ليس بالغريب عليهم فهم يستطيعون فعل ذلك وأكثر.. ولا أظن أن الانقسام الذي سيحدث بيني وبين صاحب هذا الجسد المعاق سيعيقني أو يتعبني، فمهمتي هنا ليست طويلة حسب ما هو ظاهر كما أنها سهلة للغاية وستنتهي بسرعة أيضا.. يكفي رشفة واحدة من

هذه القارورة الصغيرة المستخلصة من ينبوع الخلود الذي أقدم أب الجان «سوميا» على شربه في بدايات ظهور عالم الجن.. ولكن هذا الخلود ليس لصالح صاحب هذا الجسد العليل، بل لحاشيته التي تمارس السلطة وتسير أمور الشركة باسمه وفي غفلة منه.. المهم أنني قمت بالمهمة في صباح اليوم، والجيد في الأمر أنهم أعطوني يوما كاملا للبقاء هنا لانتظار الاستنساخ المقبل.

قمت بفرك شاشة الكرسي ليتحرك بي لباقي الغرف ممثلا دور المدير الذي يتفقد الأجواء.. الأمر المقرف كان في أولئك الرجال الحمقى الذين ينهملون علي بأوراق كثيرة في كل رواق أتصادف معهم فيه ويحملون كفي يداعبون أصابعي بقليل من الحبر ثم يضعون بصماتي على تلك الأوراق، لا أنا أعرف تلك الأوراق ما هي ولا هم يستشيرونني قبل البصم.. كيف لشركة أن توظف كل هذا الكم الهائل من الناس، ألا يفي عدد قليل منهم لذلك! ثم كيف لي أن أكون مديرا عليهم وأنا لا أقوى على الكلام أو الحراك وأقصى جهدي هو مداعبة هذه الشاشة بأناملي لأتحرك قليلا في الجوار.. وسرعان ما أضجر من هذا فيقومون بتحريكي بدلا عني.. من المؤكد أن خلف هذا الباب الحديدي الضخم توجد الخزينة! أموال طائلة تخرج وتدخل جزافا! لكنها تعود لأبناء وعائلات الموظفين..! يمر في الرواق رجل تزين وجهه لحية تصل لأعلى صدره بقميص أبيض يزيد من ملائكية مظهره كعادة رجال الدين، بجانب رجل آخر يرتدي زيا أسودا رسميا يوحي بصرامته وجديته.. مالي أراه شديدا معه هكذا؟ وكأنه يعطيه

أوراق يأمره بالقائها على مسامع الناس! آه...! فهمت الآن من أين تأتي
خطبة الجمعة وغيرها...! يا لهم من قوم...!

ما مهمة هذه الشركة بالضبط! ما المخبأ وراء تلك الأبواب المغلقة؟
ثم هل سيضر أحد لو فتحت لتستبين تلك الغرف الخاصة بالشباب
وتنتعش! ماذا لو أزالوا عنها أقفالها ليدعمونهم ويساعدونهم على
تحقيق أحلامهم وبلوغ أهدافهم...؟ لا يهم.. كل ما علي فعله الآن
هو محاولة الخلاص من هذا الجسد ومن هذه المهمات القذرة ومن
عالم المظلم..

آآآه! تذكرت! إن المآذن التي سمعتها صباحا تصدح بصوت متغن
بأذان الفجر تدل على أنني في بدن مسلم... لكن أين هيئة المسلمين
هنا؟

لا يهم.. المهم أن هذه الجمعة ستكون لصالحها وسأستغلها لآخر
دقيقة فيها.. فلا أدري كم من مهمة أخرى واستنساخ آخر سيكون في
أحد الجمععات وإن هذا للدليل على أنهم لا يستطيعون التحكم بي في
أيام الجمعة سوى قليلا وذلك ظاهر من خلال منحهم لي كافة اليوم
عطلة من شرورهم.

تعريف الاستنساخ حسب بعض المختصين في عالم الميتافيزيقيا
هو تحليل الجزيئات الأثيرية للروح وتركيبها في جسد آخر، أو بعد موت
الإنسان ولفظه لآخر أنفاسه تسرق روحه فجأة لتعود في هيئة بشرية

أخرى حية من جديد، باستغلال وساطة القرين وبأمر من أسياده؛ أي أن هنالك احتمالين.. إما أنني قد مت في تلك البقاع وهذه روحي مستقلة عن أي جسد تائهة في الكون بين الأجساد عبر استنساخات كثيرة.. أين جسدي؟

أو ربما تم فصل الروح عن الجسد؛ أي أن جسدي محتجز في عالم وروحي هي الآن عاملة لديهم يضعونها في جوف أي بشري ليخضع لهم عبري.. ما أكثر الشياطين البشرية مثلي في هذه الأرض!

ثم ماذا يقصدون بكاء الطفل الصغير الذي يأتي في كل مرة من العدم!

سأفعلها.. مثلما اتصلت من تلك الجريمة التي لقبوها بالبيضاء.. سأهرب الآن أيضا بجريمة سوداء من عالم آخر؛ أنا ميت أصلا في كلتا الحالتين.. الخلاص أو الموت، هكذا كان محتوى الشعار الذي حملته معي ورددته في داخلي طوال الرحلة في هذه الطريق الوعرة نحو بر الأمان.. الحياة من دون حرية؛ نصف حياة.. بل هي عبودية لا تمت للحياة بصلة... هذا ما تلوته على مسامع باطن عقلي لينتفض فيحيني بكلي..

لم يكن من الصعب علي إحضار علبة الملح من المطبخ والكوب الفارغ، ولا ذلك الطلاء الأسود من ورشة العمل.. بل كل الصعوبة كانت في كيفية ادخال السكين إلى غرفتي التي ببابها حاجز يمنع مرور أي قطعة حديدية حادة، لا يهم فهناك البديل.. أنهيت رسم الدائرة وسط الغرفة وقمت بسكب الملح على كل محيطها، ومثلت سداسي داخلها على رؤوسه شموع مشتعلة.. وكوب فارغ في مركز كل هذا.. كانت الصورة مكتملة ولا ينقصها إلا شيء واحد! دماء بشرية تملأ الكوب.. وأنا الإنسي الوحيد في الغرفة! هل أقوم بذلك؟ مررت بعيني بالجوار محاولا التفكير في حل ما حتى لمحت المرأة بجانب السرير أين ظهر لي انعكاس صورتي عليها فتذكرت أن هذا الجسد ليس لي.. وأن روحي مستنسخة فيه لا أكثر! حملقت في تلك الملامح الباردة، رسمت ابتسامة خالية من أي معنى، نظرت لمعصمي، قرنته ببطء نحو فمي ورحت أقضمه مستمتعا بالألم وأمتص السائل المنبعث منه لأملأ الكوب من دمائي.. قد لا يعطيني القدر فرصة أخرى لأكل نفسي! رحمت أنهش معصمي كوحش جائع وقطرات الدماء صارت نزيفا جاريا لا يتوقف.. أقوم بعدها بإخراج لساني من على طول له لألغق ما سال منها بحدود فمي.. اشتد الألم، وزادت رغبتني في الصراخ واطلاق سراح صوتي الذي أكتمه بين الفينة

والأخرى حينما أبعاد أسناني عن اللحم المهشم بطريقة سريعة أخذ معها قضمه صغيرة بين أنيابي.. وقبل أن أفقد الوعي بدأت بممارسة الإسقاط النجمي في هذه الطقوس وأنا أحمل كوب الدماء في مركز المثلث داخل الدائرة.

أخذت نفسا عميقا برغم الألم الشديد والنزيف الحاد، سرحت في خيالي محاولا نسيان ما أنا عليه الآن.. لست أنا، هذا الجسد ليس لي.. وهذه ليست ديارى، ذلك الفراش لا يخصني... لا أنتمي إلى هنا، ولا أنا هو نفسي أنا أصلا.. تعمقت في هذه التأمل وأكملت الكلام وكلي إيمان بداخلي بما أقول، محاولا التوفيق بين الشعور بالألم وتخدير نفسي بهذه الطقوس التي قد تحقق إسقاطا نجميا ربما يساعد روحي حين خروجها من هنا لأن تعود إلى جسدي الأصلي أينما كان.. أو ربما تحيا حرة في عالم لا هو عالم البشر ولا عالم الجن، بل عالم للأرواح الضالة.. الأرواح التي لا جسد لها وتحلق في الكون حرة طليقة عسى أن تجد جسدها الأصلي.. الذي قد يكون مسكونا هذه اللحظات!

أنا الآن أشعر بالدوار، ربما بدأ يتحقق الأمر! هل ستخرج روحي أخيرا من هذا الجسد؟ بمساعدة هذه الخطوات والحركات التي لقنها لي ساحر من شيوخ المدينة.. أظن أنني أقوم بذلك بالشكل الصحيح، لم أعد أستطيع الكلام أكثر.. لساني صار ثقيلًا وكل أعضاء أصابها الوهن وبات صعبا علي تحريكها، حتى ذلك النزيف تلبد في

مكانه وتخثر وكأن آخر القطرات بالجسد قد خرجت منه.. شلل كلي،
زال الألم.. أظن أن هذا الشعور الغريب هو نفسه الذي يكون بأول
اللحظات عند خروج الروح، هل فعلتها حقاً؟

تذبذبت الصورة في ناظري وصارت أهدابي ثقيلة؛ حتى أنني لا
أستطيع رفعها عن طرف عيني، برودة رهيبية تجتاحني.. ما بال أصوات
الأجهزة الإلكترونية وصرير الرياح من ثقب النافذة قد صارت بعيدة
جدا على مسامعي، ضباب!

من أين حل هذا الضباب؟ هل هذه هي الموت! ما به فكي؟ صار
متسعا بشدة ليصبح فمي مفتوحاً لأقصاه هكذا وبصري! بصري ارتكز
على نقطة واحدة لا يغادرها!! أهدق في السقف بشكل متواصل
وكأنني أنتظر حدوث أمر ما! شلت حركتي فجأة.. هل ترتقب نفسي
خروج الروح؟

خمول، خمول شديد.. أنسكب على الأرض كزبد ذائبة كانت
محكمة القوام قبل قليل، أطرافي سقطت كلها على الأرض، حتى
عنقي تدلى من على كتفي فجأة.. شعور غريب! هذه هي الموت؟
أهو الجحيم؟

في تلك اللحظة ستتوقف كل مشاريعك، مواعيدك، وكل تفكيرك
في الأصدقاء والعائلة سيتوقف... لن يهتمك ضياع وظيفتك أو
رسوبك في الامتحان.. لن تفكر بألم خسارتك لصديقك أو فراق

حبيبك... ولن تبالي بأي شيء... فقط تسترخي وتموت!...

هل نجحت خطتي؟ سأنتظر قليلا لأعرف ما الذي يحدث هنا، حتى عيني اليمنى هي الأخرى قد أغلقت نافذتها على داخلي فحل عليه الظلام، إنه الاحتضار...

أنا الآن بين يدي موت أكيد، أو رحمة وانتظار أن تعود روحي لجسدي الأصلي... في غفلة من كل هذا التفكير يأتي صوت صراخ يثقب طبلة الأذن لحدثه، ما الذي يحدث! ملامس كثيرة تنفض علي بطرق عشوائية من دون أن أراها.. لا شك أنها يد بشرية.. كف أخرى تدلك على وجهي بشدة.. ثم انتهى كل شيء...

لم تفلح قدسية النجمة السادسة في السحر لانتشالي من هذا الوضع ولم تستطع فك شيفرة اللعنة، ولا تلك الدماء التي سفكتها قبربان لهم شفعت لي عندهم للخلاص منهم.. اشتقت جسدي الهزيل بكل عيوبه، اشتقت العودة إليه؛ فهذا الجسم المعاق الذي وجدت نفسي مقيما فيه صار سجنا ضيقا أكثر من ذي قبل ولم أعد أطيق صبرا عليه برغم تواجد هذه الحاشية الخادمة لي والتي أمرها تحت فرقة أصابع يدي فقط..!

لم يعقني الانفصام والتضاربات التي تحدث الآن بين روحي وروح صاحب الجسد الأصلي عن التفكير بمهرب وبحالي في المستقبل القريب جدا والذي يليه؛ في الوقت الراهن لا أنا المتحكّم في زمام

الأمور هنا فأحرّك الجسد والأفكار لأين ما شئت ولا المالك الأوّل لهذه الجثة يفعل.. تُرى أيّ جسد سأرتحل له في المرّة القادمة؟ إلى أين سيقودونني؟ وهل سأنجو وتنجح الخطة؟ لا سبيل لذلك؛ أظنهم قد علموا بأمر محاولاتي في الهروب والتنصّل من لعبتهم القذرة!..

بكاء الطّفل في الخارج؛ في مكان عمل يخلو من النّاس يذكرني بكلام «بافوميت» في آخر يوم لي من الحجز في تلك البقاع المخيفة بعد اختطافي.. «بكاء الطّفل، ليلة الجمعة واكتمال البدر... عزاء وغريان...! لا تأتي الغريان دون سبب! هي لم تأت عبثا...» كلام مشفر لم أستطع فهمه حتى بعد عودتي إلى هذه القذارة البشرية... لكن هذا البكاء الغريب يثير نزعة من الحيرة والخوف في جوفي والكثير من التساؤلات وطعم الموت المرّ المتكرّر بحلقي!

لم يكن وصفه لي بالمحظوظ والتّاجي الوحيد في محلّه؛ نجوت من الموت حقا.. لكنني لم أنج بعد من عالمهم الرّذيل...! هذه المهمّات وروحي التي يستنسخونها في أيّ جسد كان ليجبروني على خوض التجارب داخل كل كتلة أجد نفسي فيها دون حول مني ولا قوة ولاكون شاهدا على التغيّرات التي تطرأ عليها من حين إلى حين، ومحاولاتي للثبات في كلّ مرّة أهُتَرّ فيها من هول المناظر التي أراها عند وصول الرسائل بطرق مرعبة تدفع بي للجنون... كلّ هذا يمثّل تحديًا قاسيا غير منصف لي؛ إمّا أن أفقد عقلي أو أن أفقده... لا خيار ثالث لهما ولا بينهما! حاولت الفرار مرارا ولكنني لم أفلح!

ذلك الجسد المسكين الذي قادوني له وارتكبوا في حقه جرائمًا قاسية، ذقت فيه من الألم ما يُهلك أمة كاملة؛ كريح عاد أو صاعقة ثمود! رأيت العذاب والتمسته وتجرّعته دون أن أستطيع حماية نفسي منه... عايشت الألم وكأن الجسد لي والحقّ أني مجرد دخيل عليه بقدرتهم! هل سأحاول مجددًا من أجل الخلاص أم أكتفي بمحاولة الحفاظ على رباطة جأشي لمواجهة هذه الأصوات التي تصمّ الآذان وذلك الطيف الذي اخترقني وصار يمرّق أحشائي بقسوة.. وهذا السواد الحارق الذي خرج من حلقي تاركًا فمي سيلا ذائبًا من شدّته.. ليس جسدي!! أفتح عينيّ لآخرهما وكأني أحاول إخراج حدقتي من مكانهما.. للحدّ الذي صارت عنده مقلة عيني بارزة؛ بارزة بشدة.. أشعر بأن أوردتهما تتمزق، وألم رهيب في عيني اليمنى التي اقتلعت من مكانها وصارت كزبد ذائبة ساخنة تساقط على الجفن أسفلها ونزيف يليها بسرعة.. منذ متى أستطيع الطيران! وكأن قبضة ما تحملي من صدري تاركة رجليّ ومؤخرة رأسي على وضعيتهم المتدلّية... شيء ما ينغرس بصدري! شيء يشبه الأظافر الحديدية! أظافر طويلة لعجوز مشعوذة دميعة الخلقة سوداء، منتصبّة الظهر صلبة..! زاد عمق انغراس الشيء المجهول بجسدي وصار جلدي كالمطاط يصعد تارة وينزل تارة أخرى للأسفل، رخوا لا يثبت على وضعية.. ولم يكن الصراخ يفي بالعرض ولا حتى البكاء أو أيّ شيء.. مثل قطعة بيتزا خرجت لتوّها من الفرن صار الجلد من على صدري ينتزع بانتباه وحرص جائع حتى كدت أثقب حنجرتي من قوّة الصراخ.. الأرض

أسفلي بنصف متر تقريبا .. كان كل شيء معكوسا! الذي يفترض به أن يوضع على الأرض صار بالسماء وما بالأعلى صار بالأسفل... بهذا الشكل كنت أشاهد المحيط بالمقلوب من رأس متأرجحة في الجوّ قبل أن تسقط فجأة ويرتطم جسدي بالأرض.. أنا الآن مجرد أشلاء ممزقة متفرقة والغريب في الأمر أنني حي الآن بعد كل ما حدث! عندما يكون الموت آخر حل، وتكون فجأة في مواجهة أقسى أنواع العذاب سواء كان نفسيا أو جسديا عليك الكفاح لآخر نقطة فيك فأنت ستموت على كل حال..

لحظة! هل أنا في جسدي الحقيقي الآن؟ وهذه الموت التي أراها..! أهي حقيقية أم أنه قد تم استنساخي بعد انتهاء المهمة في ذا الجسد الذي لا يقوى على الحراك؟ ما كل تلك الطقوس! أهي لشد الرحال من أجل سفر آخر لجسد آخر وربما لزمان آخر أيضا؛ منقضٍ أو آتٍ! كل ما عليّ فعله الآن هو أن استمتع بالعذاب وأنتظر الجواب، وأن أبقى معلقا بين احتضار جزئي لجسد كانت روعي مجرد ضيف ثقيل عنده وهلاك مؤكد وأخير لها (لروحي) ولجسدي لتكون هذه هي النهاية...

وكان الأمر سيصبح روتينيا بشكل مقرز! ها أنا روح تسافر من جسد
لآخر باحثة عن المأوى ولكن في كل مرة يتم نفيي من هناك..

الجيد في هذه المرة والرحلة الروحانية الجديدة هو أنها غريبة وأكثر
مما سبق! ربما لأنها خضعت للجنة الزمن، تلك اللعنة التي تجعلنا
ندور في حلقة مفرغة تعيد نفسها مرارا وتكرارا.. كأن تجد نفسك
فجأة في زمن البارحة ليتكرر عليك نفس اليوم من تحركات العائلة
والظروف المحيطة طبق الأصل أيضا عن ما عشته بالأمس وقبل
الأمس وما ستعيشه بالغد وبعد الغد..!

ولكن ربما ستجد نفسك تدخل من الغرفة، التي دخلتها في
نفس الساعة والوقت من يوم الماضي، إن لم تدخل حقيقية سترى
طيفك يدخل لها ولا أضمن لك أنه سيشاهدك أم لا أو من الروح
الخبیثة بينكما ومن الحقيقة! فلا تجعل ثقتك المفرطة توحى لك
بأنه المزيف، ربما لا أحد منكما كذلك فقد يكون انشطارا روحانيا
وجسديا تاه في ثغرة زمكانية لتخرج منك نسخة مكررة بأي شكل من
الأشكال.

هذا الأمر لا يحدث معي الآن بهذا الشكل بالضبط ولكن هناك
شكل مقارب له.. فجأة تجذبني قوى خارقة لبعض الأيادي من

الخلف وأنا أصعد أول الدرج من الحافلة ! كل التساؤلات التي كانت محيطة بي عن كيف ومن هم ولماذا وغيرها تلاشت لتحل مكانها مسألة أشد حيرة وغرابة وغموضا.. كيف لي أن أراني هناك و أنا هنا؟ وما الذي يحل بي الآن! وجدتني أرى نفسي من خلال هذه الأعين التي أنا مقحم في جسدها وأمامي بعض الرجال يحكمون قبضتهم علي بعد أن طرحوني أرضا بفعل أحد أجهزة الكهرياء اليدوية.. لم يكن المشهد غريبا عني.. نعم! تذكرته جيدا! حدث مثل ذلك ذات يوم من الأيام القليلة الماضية عندما كنت مقبلا على صعود الحافلة مع «دانا» لرحلة نحو مسقط رأسي في الجنوب.. إذا هذا الجسد الذي وجدت نفسي فيه في أول درج الحافلة هو جسد «دانا» نعم! لم أكمل جملتي «هذه الدرجة كفيلة لأن أكون بنفس طولك أيها الغب...» حتى أكملت تلك السواعد القوية فعلتها وأدخلوني إلى داخل الحافلة وتم تخديري برذاذ شديد التأثير فأغمى علي فجأة.. أنتم وأنا نعلم بالتفصيل ما حدث لي بعد تلك الحادثة، لكن السؤال الأهم ما الذي حدث لدانا بعد ذلك؟ وهذا ما سأعرفه بعد أن عاد الزمن بي للخلف قليلا.. هي الآن مغشي عليها ولن أستطيع النظر إليها إلا عندما تصحو... لكن باقي الحواس أستطيع استعمالها جيدا.. وهذا ما حدث الآن عندما نطق أحد الرجال بالجوار تحت هدير محرك الحافلة التي انطلقت من مكانها الآن...

-نحن نعلم أنك ستعود إلى هذا الجسد بعد أيام، فذلك تابع لخطتنا ولا شك أنك تسمعنا حاليا.. بعد أن يعود بك الزمن إلى هذه

الحادثة، كما هو يحدث أثناء سماعك لهذا الخطاب.. ها أنت الآن في جسد حبيبتك الجميل؛ لطالما تمنيت أن تدخل لداخلها بكلك أليس كذلك؟ ها قد تحقق لك ذلك... دانا اسمها صحيح! اسمها مثير كقوامها.. كجمال جسمها الفاتن الطري أيضا والصالح للكثير من العبث سواء كما تخيلت الآن من بعض الأفعال المغرية أو من تقطيع وسلخ وقتل.. القتل؟ لا، سنوفر ذلك الآن وسنفعلها لاحقا.. وجودك هنا لكي تعلم أن لنا السيطرة الكاملة والنفوذ لكي نمارس شتى الأعيينا القدرة عليها وعلى جنينك الذي في بطنها.. أتتحسس ذلك! قالها وهو يمرر أنامله القدرة على خصري في جسد «دانا» وصولا إلى بطني وأردف قائلاً :

-هي لن تصحو حتى وإن فعلنا ذلك.. ربما نعيدك لجسدك يوما ما ولكن بعد الجنين الثاني والذي سيكون منا.. أتدرك ذلك؟ لن تخبرها طبعاً وستعيش مع صغيرنا الودود طيلة حياتك ...

هل ترى هذه السكين وهاته الخناجر...؟

كان يمررها هي الأخرى بسلاسة على رقبتى دون أن يخدشها...

-يمكننا فعل ذلك، لن نخسر أي شيء..

مزق أزرار ياقة قميصها بطرف السكين وهوى يحاول فتح ما تبقى منه... لكي لا نجعل المشهد ايروتيكيا.. جعلوها في الأخير عارية

تماما! أتتخيل أن زوجتك ذات يوم هكذا من دون أن تستطيع فعل شيء؟

كانت ملامسهم القدرة تلتخ جسدها بكل وحشية بلمسات حيوانية رذيلة.. كنت أموت ألف ميتة بداخلها كلما اقتربوا أكثر! ربما سيطيحون بآخر ما أملك من شرف الآن... من المؤسف أن لا يكون بمقدوري الحراك! أشعر بالعجز...

ربما هم يفعلون ذلك لكي أنهي باقي المهمات الاستنساخية بجديّة أكبر ومن دون أي محاولات للخلاص.. وربما سيفعلون كل ما يلزم من انتهاك للشرف والقتل وأكمل مكرها على كل حال.. لمساتهم زادت عن حدها وعراء البعض منهم لا يبشر بالخير، كانت سحبّات أقفال سراويلهم تفتح، خشخشة ملبسهم توحى بأنها ترمى بعيدا...

ثم صوت اصطدام قوي.. ما الذي يجري؟ رائحة الدخان.. نيران في كل مكان! نيران؟

وقبل أن أفقد القدرة على وجودي هنا انزوت أحد الأيدي بين أصابعي ووضعت لفافة ما.. ملمسها ورقي ولكنني لا أستطيع رؤيتها الآن للأسف. ترى ما هي؟ وماذا سيحدث الآن، ماذا سيحدث لدانا.. أو بالأحرى ماذا حدث لها؟.. قاموا بحملي إلى خارج الحافلة كما أنا أتصور في خيالي وهاته النسائم الباردة دليل على ذلك. جسر شاهق العلو، أرض صخرية قاسية في الأسفل.. وهم يحملون جثتي الحية

هاته يدلونها من فوهة العدم في الجو خلف السياج يتبادلون أشكال
ضروسهم في ضحكات ثملة مقرفة توحى بأنهم قد يفعلون ذلك حقا
وأنهم مجرد وحوش سادية مستعلمة لعدة أغراض شيطانية.. أتعلم
ما الأشد من الموت! الأشد من الموت هو أن تموت في الظلام، دون
أن تراه مع أنك تشعر به، ومن دون أن تسعى للفرار منه.. وهذا ما هو
يحدث الآن فلا قدرة لي للتحرك أو فعل أي شيء ربما يساعدنا..
فروحانا قد اجتمعتا هنا ولا شك بأن هذا الحب المخزن لي..
أخبرتني روعي التي بداخلها أنها جميلة حتى من الداخل، جميلة
بالشكل الكافي لأن يلقى سلام الحب عليها فقط.. هي لا تستحق
كل هاته المعاناة، هل سأكون بالقدر الكافي من الجرأة لأقول لها بأنها
لا تستحق حياة مقرفة كهذه معي؟ أم أكتفي ...

من بين الاحتمالات المتوقعة! اغتصاب، تعذيب، قتل ولا أدري
ماذا أيضا... سجيتهم مجبولة على ذلك.. هم حقا مجرد وحوش
سادية ولا يهمهم أي شيء.

ليس بالسهل أن تكون عائلتك رهينة عندهم؛ هذا لا يحدث.. الأمر
رهيب حقا يا عزيزي.. ستشعر للحظة أنك تجردت من وعودك في أن
تكون سندا حقيقيا مثلا وأن تكون درعا حاميا لمن تحب وتكون ملاذا
وراحة... هل أنا كذلك حقا؟

ما زالت نسائم الريح الباردة تداعب بشرتي بعقب الموت الذي
يفوح من الأسفل، الموت يرمقني بنظرات مستهزئة جشعة وكأنه لا
يتمالك أعصابه لابتلاعي.. ماذا لو متّ مع حبيبتني في جسد واحد

عبر استنساخ روحيّ مشيرٍ كهذا؟ سيكون لي شرف الميتة الرائعة هذه..
أخبرتني روحي التي في جسد حبيبتي أنها تحتوي جنة في جوفها!
فهل من المعقول أن تتحول الجنان إلى قفار هكذا؟

هل سيرمونها! هل سأعيش لحظة الموت هذه أم سأطير بعيدا
في رحلة أخرى؟ لا أظن بأنهم يمزحون.. ولا أظن بأنني سأخالف
الأعيهم القذرة هاته في ما تبقى.. فإن كان الأمر له علاقة بالعائلة
يجب التضحية بكل ما نملك وعمل ما بوسعنا من أجلهم.. وهذا ما
سأحاول فعله.

إنني أنزلق، إنها تنزلق.. أو أننا ننزلق معا للأسفل! ألن يمسكوا بنا
بقبضتهم في آخر لحظة مثل الأفلام؟ هل سننزل للموت حقا! أليس
من الجيد أن نصد لها ونموت بشكل يجلب الفخر.. عكس هذا...

يا إلهي إنهم لا يمزحون.. عادة ما تكون كل أساليب التهديد فقط
للعب على الوتر الحساس.. ولكنهم هنا خربوا آلة العزف وأوتارها
وخضعوا للجفاف الشعري الذي قد يحتويهم وعاثوا كمبعوثين من
عالم الجحيم، أو ربما هم حقا هكذا.. للأسفل أكثر.. الأمر سيحدث
فعلا.. إنهم جديون فوق الحد!

إليكُم روحي، إلكم هذا الجسد الهزيل.. فقط لا تقتلوا الحب منا!
موتنا وعدمه واحد.

دانا، دانا... دانا.....

**

الفصل الرابع

«..بكاء الطفل، ليلة الجمعة واكتمال البدر.. عزاء وانفجار وغريان؛

لا تأتي الغريان بلا سبب...»

مرة أخرى، رحلة أخرى.. وجسد آخر!

لم أتفاجأ أو أزعج من الأمر، فهو قد أصبح روتينيا للغاية.. في هذه اللحظات لم أكن أنا من يتحكم في الجسد ككل مرة! أجلس داخله متأملا مثل أي جسد مسكون لا تخرج الذات التي داخله إلا قليلا لتصرخ وتثير الرعب، استيقظ هذا الجسد من مكانه متوجها نحو باب الغرفة المغلق ليخرجو يقوم ببعض الأعمال الصباحية كالغسل والفتور وتوضيب الأثاث...! توضيب؟ علمت في الأخير أنني في جسد أنثوي بعد أن قابلتني المرأة!

للأسف لم تكن دانا؛ كانت فتاة عشرينية جميلة استيقظت لتوها في هذه الصبيحة الباكرة.. توقفت بطريقة غريبة عند المرأة! هي لا ترتدي شيئا غير ملابس النوم الداخلية وراحت تفرك شعرها تحاول تعديله دون أن تفكر بتسريحة معينة؛ تلك الحركة العشوائية التي تعبت بها الفتيات بشعورهن وقت الاستيقاظ.. لا أنكر أنها فاتنة حقا! فهي الأخرى حملت في جسدها برهة من الوقت ووضعت كفها على خصرها وانكسرت بانحناءتها قليلا تبرز مؤخرتها، تبسمت لانعكاسها وقبلت العدم مشيرة لنفسها في المرأة وراحت تمارس

هبلا أنثويا بملامحها.. هل هذا هو شكل فتاة استيقظت من النوم؟
مشكوك في أمر النساء حقا !

بعد أن أكملت هذه الطقوس وأنهت آخر رشفة من القهوة وفتور
الصباح! اتجهت لخزانتها التي تعادل عرض الحائط بكم وفير من
اللباس! هل ما سمعته الآن حقيقي؟

لا تصدق فتاة تخبرك بأنها لم تجد ما تلبس لليوم، ولا فتاة ميووسة
من التحرش، فهي تشتريه بسرور! غال الثمن!

على كل نحن الرجال لا نكف عن التحرش، لا عن المتحررة ولا عن
المنتقبة.. وهذا أمر حقير فينا طبعاً

عزيزي الرجل! عليك أن تتأكد من أنك لن تتزوج امرأة لا تشهد
التلفاز كثيراً، أو امرأة لا تتزين.. ومن المستحيل أن تتزوج من امرأة
تخرج بسرعة من المنزل! وهذا هو الحال الآن ...

كنت أريد أن أمثل دور شيطان حقيقي لأعيش اللحظة في كوني
أسكن هذه الفتاة، لكن الأمر ممل حقا في جوف النساء!

الساعة تشير لما يقارب العاشرة والنصف صباحاً، كان الجو بارداً
في الخارج.. يوم عادي مثل كل الأيام، تخرج هذه الشابة للعمل أو
لدراستها لم أعرف بالضبط! توجهت لسيارتها وتحركت بهدوء نحو
مكان ما..

كانت أصبوحة جميلة، كفيلة للتوجه للعمل بمعنويات مرتفعة وروح نشيطة.. بالحديث عن الأرواح! هذه المسكينة لا تعرف أن في جوفها ذاتين؛ ذاتها الأولى والتي هي من تقود السيارة الآن بقدرتها وذاتي أنا في مكان ما من كيانها.. ستصلني رسائل المهمة في أي لحظة عبر وحي من «بافوميت» وكأنها مجرد فكرة خطرت ببالي ولكنني أستطيع تمييزها! وسأتمكن من التحكم في هذا الجسد بعد إشارة منهم ما زلت في انتظارها.. علمت الآن أن هذه السيدة مديرة لشركة كبيرة، لا يهم ما هي وما أشغالها.. لم يتبق سوى القليل من الكيلومترات على الوصول، وهذا ما أريده بشدة فقد بدأت أشعر بالضرر هنا!

بوابة كبيرة مررنا عبرها وساحة شاسعة خلفها تحيط بها بنايات عالية كثيرة، توقفنا في مكان ما من الحظيرة.. خطوات قليلة ودخلنا لأول مبنى، تسجيل الدخول في المكتب الأول ومن ثم الصعود في المصعد لأحد الطوابق.. مكتب وزميل في هذه الغرفة وبروتوكول روتيني للعمل، ما يقتل روح العمل حقا هو الروتين دون شك

أولى الأخبار لهذا اليوم، كان وفاة والد زميلي في الغرفة.. إن هذا الشاب حقا متفاني! برغم وفاة والده ها هو يأتي للعمل ولم يفقد نشاطه! سيكون أول فعل لي هنا تعزيتته إذا ...

مرت نصف ساعة بين توقيع وحساب ومكالمات كثيرة ولا أظن أن العمل سينتهي بسرعة، أدخلت يدي في حقيبتني وأخرجت منها مرآة وأحمر شفاه ورحت ألطخ شفاهي ببعض الفتنة قصد التجميل!

كم أنا أحمق، نسيت لبرهة أنني مجرد روح مستنسخة هنا ولست صاحب هذا الجسد!

الممل في الأمر أن هذه الأنتى سريعة الغثيان والدوار، لم أكن أعلم أن هذا العمل القليل كفيل بخلق كل هذا الصداق.. صرت أرى عبر عينيها الجدران تتحرك والأوراق تتراقص والأقلام والمكتب وكل شيء يدور حولي.. أمسكت رأسي بشدة حتى انتصب زميلي من مكانه وبدأ يتكلم ولم أستطع فهم ما يقول ولكن أظن أنه يسأل عن حالي أو شيء من هذا القبيل، تقدم نحوي وراح يربت على كتفي ورش علي زخات من المياه مباشرة على وجهي وبلل يده ووضعها على ناصيتي وأنا سارح في عالم آخر يحكمه الدوار والغثيان! واختلطت علي الأفكار وتداخلت وصرت أسمع صوت نواح بعيد وبكاء طفل صغير ونعيق غريبان قادم من بعيد.. وفجأة عدت لوعيي وصار الأمر واقعياً وتلاشى كل ذلك الخيال من الدوار والأصوات الغريبة، الأمر طبيعي للغاية ولكن! ما أمر ذلك البكاء الذي يلاحقني، بكاء طفل صغير.. والنواح الذي صاحبه اليوم.. لماذا أتى صوت الغريبان..؟ «لا تأتي الغريبان بلا سبب...» تذكرت هذه الجملة فوراً من كلام بافوميت الذي لقنني إياه وصار يلاحقني بشدة، أظن أنها الإشارة الأخيرة!

«..» بكاء الطفل، ليلة الجمعة واكتمال البدر.. عزاء وانفجار وغريبان؛

لا تأتي الغريبان بلا سبب...»

عليّ فك هذه الشيفرة اللعينة! مع أن الأمر يبدو بسيطاً للغاية!

ولا أظن أن هذا الحل الذي ومض في رأسي بسرعة أتى من العدم،
على الأغلب هو الرسالة التي علي إكمال مهمتها.. فالיום يوم جمعة
والبدر سيكون مكتملا الليلة!

ومراسيم العزاء ستكون على شرف روح الفقيد، والد زميلي في إدارة
الشركة.. ولا شك في أن الجميع سيأتي في هذه الأمسية لذلك إن
قمت بالإعلان عن الأمر الآن، فهو حقا يستحق تكريما لروح والده

الغريان ستأتي، بكاء الطفل الصغير سيأتي.. وذلك سيكون بغريان
مبعوثة لتأكل ما تبقى من أشلاء الناس في تلك المراسيم بعد ما
سأقوم به من انفجار وتأخذ عينة من كل جثة بين أنيابها للعالم
الآخر بقصد وقود شر يقوي قاعدة العالم الآخر، إنها غريان مبعوثة..
وبكاء الطفل بين بكاء ونحيب.. هو موسيقى النصر عندهم والطفل
لتدنيس البراءة!

وعرفت أن ذلك الطفل في الأخير هو من قذفته الطائرة ذلك
اليوم قبل انفجارها عندما انكسر الزجاج الذي بجناح نافذته وابتلعه
الثقب إثر قوة الريح منها بسرعة رهيبة، كان بريئا للغاية.. وهذا ما
استعدى إلى استعماله..

إذا مهمتي الآن هي الإعلان عن مراسيم العزاء الليلة وكتابة الدعوات،
ربطت الحزام الناسف على خصري بعد اجتماعهم والدخول في
وسطهم.. عندما أرى أن الغريان قد ملأت الأشجار في غفلة من

الناس، حينما تبدأ موسيقى بكاء الطفل الصغير فجأة في مكان ما بين الجموع.. أرى البدر، أودع الدنيا.. وأتحر ليموت الكثير من الناس وتنتهي مهمتي هنا وأعود لجسدي أخيرا بخطيئة كبيرة!

خطايا من أجل الحرية!

للمرة الثالثة أعيد دراسة الأمور ولا أجد أن هناك ما يدعو للقلق؛ فالمهمة هنا سهلة، سهلة جدا.. وهذه الجمعة السوداء ستكون خيرا علي وشرا على كل من هم هنا..

لم يتبق على الظهيرة إلا ساعة من الآن.. بدأت بالدردشة مع زميلي واخترت موضوعا مبهجا لينسى قليلا:

-هل سمعت بالسرک الذي سيقام هذه الأيام!

نعم، على الأغلب سيكون ناجحا بدرجة كبيرة.. خاصة من الجانب الكوميدي.. ولكن أظن أنهم سيتأخرون، لأنهم لم يجدو مكانا بعد!

-لماذا فقط من الجانب الكوميدي؟

-لا، على الأرجح سيكون ناجحا من كل الجوانب.. ولكن لديهم مهرجون ما يزال تحديهم قائما في إضحاك كل من يشاهد عروضهم! بل إن كل عروضهم تحول المدرجات إلى هستيريا من الضحك؛ إنهم محترفون حقا.. كنت كثيرا ما استدعيهم بأموال طائلة لأرى ضحكة أبي، والجيد أنهم لا يرفضون أي طلب خاصة لدور العجزة

-آسفة من أجلك حقا ...

تنهدت قليلا ثم قالت :

-هل يمكنك أن تعطيني رقم الهاتف الخاص بهما أو رقم دار العجزة
من فضلك؟

ترى هل دانا بخير؟ هل ماتت؟ هل رموها من ذلك الجرف العالي
في آخر لحظة أخرجوني فيها من جسدها...؟ هذا أشد ما يؤرق بالي
في هذه اللحظات...

لو كان اليوم كله آذان لما تدخل في شأني هذا النفر من الجن؛
ففي كل موعد صلاة حينما تبدأ الحناجر من المآذن بالتكبير، أشعر
بالراحة!

راحة تجعلني متيقنا بأنهم لا يراقبونني أو يهتمون بي، لأن الآذان فوق
كل اعتبار وفوق كل جن وعالم آخر..

وهذا ما جعلني أكتب دعوات العزاء في هذه الأثناء مستغلا هذا
الشعور بالطمأنينة، حتى الحزام الناسف صار جاهزا للمهمة..

-لماذا أنت تكتبين بسرعة هكذا؟

تحديث نفسي لأن أكمل كل الدعوات قبل انتهاء سكوت المآذن

وقبل انتهاء الصلاة وارسالها عبر السكرتيرة التي تقف عند الباب الآن

-هه جيد!

وأكملت ذلك بسرعة.. انهيت كتابة كل الدعوات ووجهتها!

حتى إنني أخذت فرصة راحة للاتصال بمدير السيرك لأسأله عن مكان إقامته له، بنية مساعدته لأنني علمت بأنه في وقت ضيق وأنه يحاول القيام بذلك في أقرب فرصة..

اتصلت بأكبر دار العجزة في البلاد، برمجت معهم موعدا لحفلة ما قصد رفع معنوياتهم.. فكلام زميلي كان مؤثرا وجميلا... أن أترك بصمة تستحق وأعمل خيرا ربما لن أستطيع فعله بعد اليوم!

وتواصلت مع أكبر المهرجين احترافا ليأتوا لهم يوما ما.. وفكرت مليا في أنني سأجعل ذلك اليوم حفلا كبيرا بين السيرك ودار العجزة.. لا يهم هذا الآن! الليلة ستكون عزاء كبيرا

مرت الأمسية بين تحضير و قدوم الناس، بدأ الحشد يتكاثر كل مرة.. وزميلي كان بكامل قوته التي يخفي خلفها حزنا شديدا مستعدا لأن يمر عليه كل هذا الجمع الغفير لتعزيته، إنه حقا رجل عظيم

بدأ البدر في القدوم من بعيد، الجميع يراه بدرا جميل إلا أنا أرى فيه ابتسامة شر وخبث.. فهو أحد عناصر اللعنة التي ستفتك بالجميع هذه الليلة.. حزين من أجل أمر واحد! هو مشاعري وتلك

الأحاسيس التي كنت أملكها والتي قاموا بتجريبها مني فصار القتل
أمرا سهلا عندي.

وحتى قتل نفسي معهم بهذا الحزام لم يعد بالأمر المقلق، مسكينة
هذه الجميلة.. لقد تم دحضا وأخرجوني أنا لأتحكم في جسدها ولم
يعد هناك أي انفصام، فقط أنا وجسد غريب وقتل أو إبادة ستحدث
الليلة!

أنا والبدر فقط من يدري بالحقيقة، فلا الناس تعرف أمري ولا
صاحب هذا الجسد يدري.. عندما يكون للأرواح نصيب...

تهاطل الظلام واحتوى المكان بغيابه، وأخذت الأنوار من أعمدة
الإضاءة حصة الأسد من المكان.. الغروب، اجتمع الناس في وسط
الساحة، كم هم حمقى! لا يبدو على وجوههم أي حزن، أو حتى تمثيل
لذلك في هذا العزاء.. سيموتون على كل حال!

سأكون أول ضحية لهم ونفر محترق خلفي، لا حياة لهم بعد الليلة
ولا نجاة من الانفجار الذي سيأخذ قدرا كبيرا منهم، ستأخذ الغربان
بين أنيابها عينة من كل جثة إلى بقاع عزازيل.. سيكون بكاء الطفل
أغنية بداية اللعنة! وهذه الغربان التي بدأت تتوافد على الأشجار
خفية وفوق المباني تدل على اقتراب الحدث، إنها الليلة الموعودة
والليلة الأخيرة.. بينهم وبين الهلاك بكاء طفل صغير!

ما زالت الغربان تأتي أفواجا تغطي أغصان الأشجار وأنا الوحيد

الذي يركز معها فلا أحد من الناس المتجمهرة هنا ينتظر قدومها وحتى إن شاهدوها لن يعيروها اهتماما، هذا العدد الكبير من الغربان كأنه يعلم بأمر قوة الحزام، ستكون هناك جثث كثيرة وستأخذ هذه الغربان المبعوثة نصيبا يسد جوعها لعام كامل وزيادة على ذلك تحمل في مناقيرها الصغيرة تفتات من الجثث لمن أرسلهم لذلك.. أنتظر البكاء! أحدق بكل حواسي في الأرجاء لألتقط أي بكاء لصبي ما في الجوار، لم أكن أن أعلم أنه سيأتي علي يوم أنتظر فيه البكاء! إن الحياة حقيرة وقاسية وتجعلك طاغية وأسودا رغما عنك..

كل هذه الوجوه البريئة، ستموت بعد قليل! وأنا القاتل والمقتول معا في هذه الساحة التي ستشهد على ذلك.

دانا، لم يبرح بالي هذا الاسم طيلة هاته المدة.. تبا لهم، إنهم شياطين من الإنس حقا.. شياطين البشر في كل مكان، قد يكون أي وجه بريء من أصدقائك أو أحد زملائك، أو حتى عائلتك.. شيطان بشري دون قدرة منهم.. ربما هو يحمل روحا غير روحه ويسير في الأرض متنكرا لبعض المهمات، من يدري! ربما تكون أنت يوما ما شيطانا بشريا بلا حول منك ولا قوة.. وبما أنني تمكنت من التعمق في عالمهم عبر كل ما فات علي، سأخبرك في الأخير عن لعنة لذلك، فأحسن استعمالها!

أظن أن الوقت قد حان، البدر في الوسط بكامل زينته وهيبته.. اكتمل تجمع الناس في وسط الساحة! الحزام الناسف جاهز، حتى

بكاء الطفل الصغير قد بدأت أتحمسه من بعيد.. أين! يجب علي البحث إذا قبل نفاذ الوقت، رحلت أجري بين الناس أحدق في أي طفل صغير يبكي محاولا تذكر ملامح من شاهدته في الطائرة لأطابقها عليه، أهول وأحدق بين أقدامهم وفي كل حضن امرأة تحمل صغيرها.. لم يكن الأمر سهلا في وجود كل هؤلاء الناس!

المهمة ازدادت صعوبة، قد يصلون في غير ميعادهم، قد يفسدون علي الخطة ولا أدري ماذا سيحل علي بعدها.. إنني في مأزق حقا!

أين أنت أيها الطفل الحقيير؟ الصوت تتعالى شدته وتهاوى ولم أستطع تحديد اتجاهه الذي يزيد فيه، فوق ما أنا عليه من جحيم هناك جحيم أسفل في العالم الآخر ينتظرنني إن تم اكتشاف أمري أو احبطت المهمة.. ما زلت أركض بحثا عن مصدر البكاء..

هل يعقل أن يكون الصوت من العدم! ثم لم يخبروني أنه موجود حقيقة، هل يعني ذلك أن أقوم بالمهمة؟ الغربان جاهزة، البدر جاهز، الحزام الناسف جاهز.. وأنا جاهزة!

لم يبق إلا مكان واحد لم أبحث فيه، حظيرة الحيوانات..

العجائز في الأعلى تظهر ظلالهم من النوافذ من ذلك المبني التابع للشركة والذي تطل نوافذه على الحظيرة، ويتضح أن معهم بعض المهرجين.. لا يهم حملقت في زميلي الذي كان يحدق في من الأعلى هناك وكأنه ينتظر مني إشارة أو قولاً ما! غبي هو الآخر

سيصلون في أي لحظة ليفسدوا علي المهمة، لن تكون المفاجأة التي صنعتها في وقتها، على غرار المفاجأة التي كانت ستلقيهم حتفهم الليلة أخذت حصتي من المفاجآت وقمت بالتمرد قليلا ببعض الأمور التي لا أظن أنها ستكون لصالحى لضيق الوقت، فسيصلون في أي لحظة، من!

لا يهم الآن.. كل ما يهم هو أن أحاول إيجاد حل ما لهذا المأزق الكبير، بما أن كل الأمور جاهزة هل أقوم بالمهمة؟ أعود لوسط الساحة بين الجميع وأفجر نفسي؟ وأستغني عن ما خطت له من مفاجآت لهذا اليوم الحافل! الوقت يمر والهلاك يقترب، لا بد من وجود حل ما!

اختلطت علي الأفكار وتضاربت وما يزال ذلك الأحمق يحدق في كالأبله من الأعلى.. لقد اقترب موعد قدومهم.. دقائق فقط، من؟ لم يعد ذلك مهما الآن.. سأقوم بالمهمة حالا، نعم سأفعلها حتما.. أمسك ببطني متحسسا الحزام! طارت بعض الغربان القريبة من مكانها وكأنها تعلم بما سيحل في هذه الأثناء، حملقت في تلك الوجوه البريئة.. صار المشهد ببطء وفي أذني موسيقى وآهات ملحمية من خالص الذات وكأنها تحاول إيقاظي مما أنا فيه واختراق الغشاء الذي أخذني لعالمهم الخفي.. أطفال صغار، شيوخ ونساء ورجال شداد.. كلهم سيحترقون الآن! صرت أتقدم خطوة من وسطهم في كل مرة وتزيد حدة الرعشة والحيرة مما أنا مقبل عليه.. هل سأفعلها

حقا! أصدقاء موسيقى السيرك تبدو قريبة من هنا؟ هل أتوا حقاً!
اختلطت علي الأمور، إنهم يقتربون أكثر.. وفي ذلك الطابق حشد
من الشيوخ ومعهم بعض المهرجين وزميلي ما زال منتصباً يحدق في
بشدة لسبب ما كالأحمق وكأنه يترقبني! إنها النهاية؛ نهاية كل شيء..
إنها حقاً النهاية ...

وإن كان هذا الموت حقيقياً، أخبروا حبيبتي أنني أحببتها حقاً..

الفصل الخامس

«...إذا أردت التفاوض معهم عليك أن تمنح نفسك لهم ولا أحد
يضمن عودتها.. إلا إذا قمت بذلك بالشكل الصحيح...»

لم يكن يدري ماذا يفعل الآن، سينتهي الوقت ويخسر الكثير إذا لم ينجح الأمر.. كان يحضر كل يوم لينجح السيرك، فقد كان حلمه منذ الطفولة.. ولكن في هذا الوسط! لن تعيرك السلطات المعنية اهتماما لتنفيذ ما تطمح إليه، لم يكن يطلب أي شيء سوى أن تأخذ الحكومة بيده ليحقق أحلامه، فلا هي قد اهتمت لأمره ولا هو كان فريسة سهلة للإحباط.. ولكن الوقت ألد عدو له ولأحلامه معا!

شارد البال، رجله ترعش كرجل مسن من العصبية والاضطراب.. تارة يقضم أظافره حتى تترسب الدماء عليها، وتارة أخرى يعض على شفاهه من التوتر

يسير نحو النافذة يحملق في الشارع والناس المرتاحة، عندما لا تكون بخير سترى كل البشر سعيدة ومتأمرة مع الحياة ضدك.. ولكن الحقيقة عكس ذلك فلا أحد سليم من الشقاء!

تتضارب الأفكار في رأسه كأموج تفقد متعة التأمل في البحر، على كل حتى للأموج متعة في التأمل.. فقط علينا التفكير بالإيجاب طواعية مع ما نحن عليه من حال حتى وإن كان الحزن يرافقنا سننسى

أحسن الخواطر.. اجعل خيالك يواكب أي مزاج للتفكير!

دس في رثته القليل من النيكوتين، محاولا ترتيب شتاته المتناثر..
جلس في مكتبه يداعب الأوراق يرى حلمه الذي بناه منذ الصغر
يبتعد عنه في كل ثانية ولا يستطيع أن يناديه لضيق الوقت وكأنه
يشعر بالحرج منه لأنه حتى لا يستطيع توديعه، بدأ يشكي لجدران
الغرفة والسقف وكل ما يراه أمامه ويصب عليه اللعنة لما يحصل الآن..
هناك فرق بين الإحباط والفشل، فالفشل وليد تجربة لم نوفق فيها
ويمكن تداركها بأكثر من تجربة أخرى أما الإحباط فما هو إلا نتاج
لتسويات نفس لا تهوى النجاح!

وبين فشل وإحباط، خسر الكثير من الوقت.. فلم يكن شيء
لصالحه في هذه الأثناء! حتى السكرتيرة الجميلة التي كانت تأتيه في
كل مرة لتفقد حاله لم تظهر منذ صبيحة اليوم.. وكأن الجميع قد
تخلى عنه مرة واحدة، لم يكن يريد الجلوس متذمرا هكذا ولكن الواقع
قد صفعه بشدة حتى أرداه في كرسيه من دون حراك أو أي فكرة تخطر
على البال لحل هذه المشكلة.. لم يتبق سوى ثلاثة أيام ولا شك في
أنها ستمر مرور الكرام بحمل الفشل الذي ستنثره على عاتقي ولتجعل
مني مسكينا لم يصل لتحقيق هدفه في الأخير، حلم هذا الثلاثيني
أن يفتتح أكبر سيرك في البلاد ولكن لم يجد أي مكان يحتضن تجربته
الرائعة والتي خسر فيها الكثير من المال وتم استبداله بحفل رقص
وغناء آخر في أكبر ساحة للعروض هنا! سئمت من تهميشهم لكل

المواهب إلا الغناء منها وجلب الراقصات من خارج الوطن، حقا الأمر
مثير للقرف.. والأن لا أظن أن ثلاثة أيام كافية لتدبر ساحة ما لأي مرفق
سواء شركة أو قاعة عروض أو ساحة عامة لأقيم فيها هذا السيرك..
سيندمون لأنهم لم يدعموني لأن حالنا الآن لا يرونك فيه وأنت تصعد
للقمة، بل يصفقون لك حينما تصل فقط... ويرن الهاتف الخاص
بالمكتب! لم يكن يريد حتى التقدم منه لرفع السماعه، فقط سئم من
العمل والأوراق والموظفين وتلك الحياة الروتينية.. ولكن الأمر الذي
دعاه لذلك هو كونه لم يستطع تحمل رنينه الذي زاد من حدة أعصابه
المتوترة!

-ألو، سيدي! لدي لك أخبار سارة جدا...

أنا أثق بك عزيزتي، فلطالما كنت سكرتيرة جيدة قومي بما تريه
خيرا لنا وللشركة سأخذ عطلة من الآن فأنا لم أعد أستطيع التحمل
هنا أكثر

-لا، هناك أمر سيسعدك كثيرا صدقني...

أرجوك، لا مزيد من العمل قومي بذلك فقط أنا اثق...

-السيرك، السيرك يا سيدي...

قاطعها فجأة!

ماذا، ما به السيرك؟ ألا تعلمين أننا فشلنا في ذلك بعد هه

-هل رأيت الشركة التي خلفنا، لها ساحة كبيرة جدا كافية لتغطية

مهرجان وطني كبير.. اتصلت بي مديرة الشركة وأخبرتني أنه بإمكاننا القيام بافتتاح السيرة ليلة السبت القادم ببعض الشروط المهمة...
حقا! هل أنت جادة فيما تتكلمين؟ مستعد لقبول كل الشروط...
هيا أكملني بسرعة ...

-من بين الشروط أن يكون السيرك في أمسية السبت، ولكن قبل ذلك بليلة واحدة.. أي الجمعة! يجب أن يكون هناك مهرجان كبير نقوم نحن بتغطيته مع بعض المساعدات منهم طبعاً.. على أن نكون في الوقت المحدد بالضبط، في الساحة.. وأن يكون المهرجان الكبير هذا على غفلة من الناس المحتشدة هناك. سيتم عزيمهم لهنالك برعاية الشركة.. سنجعلها حفلة ضخمة تقتل الهدوء فجأة بالألعاب النارية والموسيقى والبهلوانيين الذين سيقتحمون المكان من كل جهة والألوان البخارية والبالونات الكبيرة.. ستكون حقاً حفلة ضخمة ولن يدري الناس هناك من أين حلت عليهم!

يا إلهي! الأمر ممتع حقاً.. وسهل للغاية، يمكننا تغطية ذلك وزيادة عليه هناك رعاية من تلك الشركة لهذا المهرجان! والذي سيكون افتتاحاً للسيرك الذي سيكون في الليلة التي بعدها.. أنا موافق، بالتأكيد سأوافق

ككل كتائب المافيا، أوكار معزولة متوحشة ينتظر أصحابها أي

مهمة تعرض عليهم بمقابل مادي حسب نوع الطلب.. لا يأبهون بالحكومة ولا بالشعب! الكلام هناك بالمال وستنفذ كل مطالب مهما كانت من قتل أو خطف وغيرها... رجال شداد اختاروا طريقا آخر للحياة لم يولوا الحياة البشرية العادية أي اهتمام ورغبوا ببعض المغامرة وبالكثير من الخطايا التي لم تحرك فيهم ساكنا ولا توقظ فيهم أي ضمير، ما إن تدخل إلى محيط عملهم يقابله شباب لم يبلغ من العمر عقده الثاني أو الثالث ربما بلباس ثوري عند مدخل تلك الأبنية غير المكتملة والمخرية بجانب القليل من السيارات المحطمة وبعض الأنقاض المرمية هنا وهناك.. أجسامهم ملطخة بالوشوم وسكاكين حادة في أحزمتهم التي تدور بالخصر حاملين مختلف أنواع الأسلحة ومن أشهرها الـ ak47.. الرشاش المحبوب لدى كل المافيا في العالم والأكثر شعبية أيضا! وطلاء أسود يشق وجوههم برمز لتلك الكتيبة والجميل في أمرهم هو أن أجاسدهم مفتولة دالة على ممارستهم الدائمة للرياضة، صدقني! لن تدخل بنية منحرفة إلا وخرجت أشلاء ممزقة، هذا إن خرجت أصلا.. يترأسهم شخص لا يعترف إلا بالمفاوضات ولا يريد أي طلب كان حتى ولو كان بسيطا، المهم في الأمر هو أن تدفع له فقط.. ولن يحصل لك أي مكروه إن دخلت بنية المفاوضات، فلو كنت شرطيا متخفيا أو حتى أقوى رجل في المخابرات لن تخرج سالما وسيتم اكتشاف أمرك.. فهذه الدولة الصغيرة في هذا المكان الغابي المعزول لا يستهان بها! لا يطردون عملاءهم بالترهيب، بل يستقبلون الجميع لتنفيذ مهماتهم، وفي

المهمات السهلة لا يأمرن سوى الرجال البسيطين ليقوموا بذلك.. وهذا ما سنراه في هذه المفاوضات التي تجري الآن، لا يزالون بغرابة المطالب! المهم هو الدفع من أجل التنفيذ.. هذا فقط.. وهذه السيدة العشرينية التي تبدو مؤنقة وكأنها مديرة لأحد أكبر الشركات جاءت لهذا المكان لمهمة بسيطة، بسيطة للغاية وستدفع فيها الكثير من المال لبعض الشروط.. أن يكون ذلك في الوقت المحدد بالضبط وباحترافية كبيرة! وطبعاً هذا ما يمتازون به فلو لم يكونوا بهذا الدهاء لما أحبطت كل المداهمات التي جرت في حقهم لإلقاء القبض عليهم في الكثير من المرات.. تمشي واثقة كما سبق واستفسرت عن المكان بأنهم لا يؤذون أي دخيل ينوي مفاوضة ما حيث يأخذه أول من يلتقيه إلى المكتب الخاص بذلك لتلقى قائدهم بزيه الرسمي وتحديثه عن سبب مجيئها ويتم معرفة المهمة وتحديد السعر والوقت وغيرها! إذا أردت التفاوض معهم عليك أن تمنح نفسك لهم ولا أحد يضمن عودتها.. إلا إذا قمت بذلك بالشكل الصحيح.

نعم، المافيا في وقتنا الحاضر يلبسون زياً رسمياً أنيقاً يجعلك لا تشك في أمرهم، يجلسون في المكاتب ولا يتعاملون إلا بالمال! ولهم نفوذ كبير أيضاً.

كانت مهمة بسيطة، أخبرتهم أنها أجرت تجربة كيميائية على بعض الحيوانات في حظيرة شركتها، ولا تريد أن تتعامل مع أي بيطري أو رمي جثثهم هكذا في الخارج أو في مكان ما ولو كان بعيداً! وبدل

هذا أرادت منهم تفجير المكان، تفجير الحظيرة بحيواناتها التي صارت مجنونة وتقوم بتصرفات غريبة وعدائية بشدة.. وستقول أن العطب في الكهرباء أو شيء من هذا القبيل مع أنه لن يكتشف أحد الأمر في صخب المهرجان التي ستقيمه في ساحة شركتها من نفس اليوم الذي ستحدده مع هذه الكتيبة للقيام بالمهمة، ويبقى أمر الجثث العفنة ستدفن تحت الحظيرة بعد أن ترمم، إن هذه السيدة حقا مريضة نفسيا لتثير كل هذا من أجل أمر بسيط، ولكن الأمر يسعد زعيم هذا المجمع المتمرد لسهولته ولمبلغه الوفير.. كان اليوم المحدد لذلك هو ليلة الجمعة القادم! على شرط أن يكون ذلك في الوقت المحدد الذي نصته عليه بالساعة والدقيقة ليواكب صوت إطلاق الألعاب النارية.. الأمور السهلة غالبا لا تبشر بالخير!

ولكن لا مجال لمنافسة هؤلاء الشباب الذين يمتازون بدهاء وقذارة في المهمات وتحطيم كل عدو حتى وإن كانت مداهمة كبيرة ولا شيء سيخسرونه إن ماتوا، هذا ما تشير إليه أبشع المهمات الخطيرة التي قاموا بها في الأيام القليلة الماضية وكأنهم مجموعة من المختلين أو المرضى النفسيين، لا يهم! فالمهمة ستنفذ ما دام المال سيدفع.. الحظيرة ستدمر بانفجار صغير لا يفوت حدودها وترمم من جديد بعد دفن الحيوانات داخلها، مجموعة من الخنازير! الممنوعة من دخولها للبلاد بأي شكل من الأشكال وأظن أن هذا هو سبب كل خوفها الذي جعلها تضطر لتقدم على هذا الفعل الغريب!

قام الزعيم باستعداد مجموعة من الشباب الذين لم يتأخروا لحظة في تلبية النداء.. وكأنهم كرسوا أنفسهم لطاعته أحق طاعة! كان عددهم حوالي خمسة أشخاص بأجساد توحى بوجود حوالي عشرين شخص لضخامتهم محملين بالأسلحة والوحشية اللازمة وكل ما تتطلبه المهمة.. قالوا بصوت واحد «حاضر سيدي...» كان ذلك بعد أن أخبرهم في كلمات قليلة بما عليهم فعله ولم ينسى أن يخبرهم بضرورة التقيد بالوقت المحدد بالدقيقة! ليلة الجمعة القادم...

الأمر يحدث مرة أخرى، سئمت من هذا التواتر المقرف بين الأجساد حقا. الخلاص الروحي أشد حرية ونعيما من مجرد خلاص جسدي.. لكن هذا المكان يبدو مألوفا لي قليلا! احتواء جميل وراحة رائعة أنا أسير بهما الآن ولكن هذا الجسد لا يعود لي.. لم أتذكر أن لي أئداء بارزة هكذا وأنا «رامو» روحا وجسدا! نعم، كان جسما أنثويا من جديد ولكن ليس غريبا عني كثيرا.. إنه جسم دان.. أي نعم.. دانا بالتأكيد. هل هي بخير؟ هل قام هؤلاء الأوغاد بأذيتها؟ اشتقت لها حقا، سأكون بداخلك وبجانبك كل الوقت عزيزتي، سأكون بجانبك جسديا وروحيا أيضا.. أقول هذا وأنا أراها تعود إلى السرير بعد أن أعادت علب الدواء إلى مكانها.. أي منزل هذا وأين نحن الآن؟ أراها متوجهة نحوي، نعم أراها من داخلها بعينها الجميلتين متوجهة إلى

جسدي هناك نائم مغمى علي.. أقول جميلتين. أنا مؤمن أن حبيبتني تستحق كل الغزل حتى في الأوقات العصيبة، ليس مجاملات نمطية.. بل بداعي الحب الذي أنا أشعر به داخلها خاصة في هذا القرب الروحي الكبير. اشتقت لجسدي أيضا.. لتلك الندبة الطويلة الأثبة بضربة سكين في خنصر يدي اليمنى، إلى ملمس حاجي المشبع، اشتقت إلى قضم أظافري ومنظر شعري المخرب.. اشتقت لذلك النوم في توافق مع الذات لا هذا الشتات الكبير الذي أنا تائه فيه طوال هذه الفترة.. ترى هل من مفاجآت لهذا اليوم؟

كانت تتحسس خدي الهزيل من ما عاناه وأنا مستمتع بملمس يدي في جسدي من عليها لما يحمل من حنية تفرك ملامحي.. سأعود لك يا جسدي قريبا، لا تقلق.. سيتم لم شملنا في أقرب وقت أعدك بذلك... دخلت امرأة فجأة بعفوية وضحكة تتأسف، ربما لحالي.. الأشد مرارة من المشاكل أو الأعطاب أو أي ظرف قد يصيبنا، هو أن تكون مثيرا للشفقة.. لا تحاول فعل ذلك فهو أمر حقير في حق نفسك.. جلست في الكرسي المقابل قائلة:

-كيف حاله اليوم؟

بخير، جاءه طبيبه المعتاد ليقيس ضغطه ويرى هل من جديد في تدهور أو تحسن صحته.. لم يقل الكثير لكنه بدا آملا بعض الشيء.

-هل جريت استعداد طيب آخر؟ للتأكد أكثر ربما أو...

تحركت شفاهي مقاطعة بتلقائية مرة أخرى وأنا أتابع ما يقولانه ...

لا، لم أفعل.. فهذا الطبيب تابع لمن أخذوه ذلك اليوم للتحقيق معه.. أخبرتك عنهم أليس كذلك؟

-نعم.. لكن لدي فضول لمعرفة المزيد...

تهددت لأخذ أكبر قدر من الكلمات لأقولها في فقرة مختصرة تصف تلك الحادثة بين كلماتها المعتذرة « لو سمحت طبعاً، قد يكون في ذلك إزعاجا لك ربما...» ثم بدأت الكلام في نظرات مشفقة منها وفي بعض الأحيان تحرك رأسها للأسفل وللأعلى قليلا راصة على شفاهها متأسفة على ما يحدث ...

مممم.. كنا على وشك صعود الحافلة للتوجه نحو الجنوب، حجزنا التذاكر راقبنا حقائبنا جيدا و... تقدمنا من الرصيف حيث كانت الحافلة هناك. الغريب أنها كانت فارغة من الركاب ما عدا سائق الحافلة ومساعدته الروتيني وبعض الأشخاص لا أظن أنهم مسافرون، ظننت أنهم يدردشون فقط مع السائق قبل الانطلاق.. ثم... كان تكتم البكاء بشدة وفي كل مرة تجفف وجنتيها من زخات الدموع التي لم تقوى على الاحتباس في عصاره عينيها- ثم صعدت إلى الحافلة.. وقبل إكمال باقي الدرج استدرت نحوه لأمازحه قليلا، كان منظر عينيها يلمع بكثير من الحب والحياة، ملامحه مشبعة بالأمل ترسبت

في ابتسامة ساحرة أحببها حقا وفجأة... لا أدري ماذا حدث بالضبط سوى أنني رأيتهم في آخر اللحظات قبل أن أقذف إلى الداخل يمسكونه بقسوة ببعض صعقات الكهرباء وأنا وسط ظلام الحافلة من الداخل حاولت الصراخ كثيرا ولكن كان للسعال حصة الأسد من فمي المفتوح محاولا قول شيء ما قبل أن يغمى علي من رذاذ تم بثه في الجو قريبا مني... غير ذلك لا أتذكر شيئا بتاتا. استيقظت هنا في الفندق الجميل، لحسن الحظ كنت بالغرفة التي بجانبك، سعدت بتواجدك كثيرا بالمناسبة.. وجدت لفافة صغيرة في يدي بعد أن استطردت النوم والنعاس مكتوب فيها:

ثم أخذت تملي عليها ما هو وارد في لفافة ورقية كانت تداعبها بين يديها وأنا بداخلها حائرا ومتوترا جدا أحاول الخروج لأوقف هاته المهزلة كلها، لكن كان لدي فضول أيضا لأعرف سر تلك اللفافة الغريبة وما تحويه، أبناء السافلة.. تبا لهم. ليتني أملك القدرة على النهوض ولأعوضها عن كل ما فعلوه بنا، أعلم أنكم تسمعوني الآن، تبا لكم أيتها الأجساد المستعملة والأرواح الرذيلة.. كان مكتوبا في تلك الورقة اللعينة:

إلى السيدة دانا..

تتمنى أن تكوني بخير، وأن يليق بك الفندق الذي حجزنا لك فيه.. هو مجهز بكل شيء وكل شيء مدفوع التكاليف لك خصيصا بتلك البطاقة التي فوق الرف.. لا تقلقي بشأن زوجك «رامو شيريو»

هو في مأمن عندنا، نأسف كثيرا لأخذه بتلك الطريقة فعملنا يملي علينا كل تلك السرية وقد كنا بأقل قسوة ممكنة لتتم الأمور بشكل جيد. سيكون عندك بحلول المساء. ولا تجزعي! هو في غيبوبة مؤقتة وسيستيقظ قريبا عليكم مراعاته جيدا فقط. وسنخصص لك طبيبا يتابع حالته بشكل يومي عسى أن يتماثل للشفاء في أقل وقت ممكن من الأيام.. تقبلي مرورنا هذا المساء.

وأسفل كل هذا ختم غريب مرفوق بجملته «مخابرات سرية». ترى لأي كيان تعود هاته المخابرات ولصالح من تعمل؟ كل ما أعرفه عنها أن البعض منهم شياطين إنس قد استعملوا لهذا الغرض.. وفي الجانب الأيمن بمحاذات الختم كان هناك تنويه صغير: نعلمك أننا أخذناه بغاية تحقيق أمني فقط، لا تقلقي.. سيعود قريبا.

-غريب...!

قالت هاته الجارة الودودة بلكنة يبدو أنها إيطالية ربما بنبرة بين الحيرة والمزاح ثم أردفت:

-حتى عصابة كامورا لا تفعل ذلك عندنا.

من المؤكد أنها إيطالية إذا، بدأت تحكي قليلا عن زوجها السكير، لكنه رجل محترم وله عمل مرموق جميل وليس لأنه سكير نرى بأنه رجل نذل هكذا.. أخبرتها عن سكره الكثير في طرفة فقط وفي الجانب الآخر حكت عن انشغالاته الكثيرة واهتماماتها هي الأخرى وأكثر ما

شدهم من مواضيع هو حول نعمة الأمومة التي سيرزقن بها قريبا وتوالت المواضيع هكذا إلى وقت متأخر من الليل والجميل أنهم تركوا لكل وقت حديثه الشيق فاختراروا لهاته السهرة موضوع السحر، تحدثت «جينيفر» كثيرا عن ذلك (هكذا كان اسمها) فتطرقت لبعض المجلات المرعبة التي قرأتها مؤخرا وبعض الأشرطة الوثائقية التي تهتم بالمواضيع الميتافيزيقية وكذلك عن بعض العلماء المجانين الذي يصدقون ببعض الخرافات عن شياطين الإنس متسائلة: هل تتخيلين أن ذلك حقيقة...

ماذا؟ إنها تتكلم عن شياطين الإنس.. ماذا تعرف عنهم..؟ عدت لكامل نشاطي وتركيزي الروحي لأسترق السمع من حديثها المثير فأكملت قائلة:

-قال ذات مرة واحد من المختصين في علم ما وراء الطبيعة أن هناك الكثير من اللعنات على هاته الأرض، منها ما يصيب الأشخاص وأرواحهم ومنها ما يصيب المجتمع ككل جملة واحدة ومنها الكثير.. منها ما قد يكون بسرقة إلى العالم الآخر! لا تحذقي هكذا.. هيه! يمكنه فعل ما هو أكثر.. ومنها ما يقوم به شخص لشخص سواء كان ساحرا أو مرغما على ذلك إن كان ملعونا أو مقبلا برغم ذلك على القيام بلعنة ما...

أبطأت في حديثها بالتدرج حتى انتهت بالصمت في آخره، سكنت برهة من الوقت تشاهد في هاتفها ثم قالت: أظنه وقت الوداع لهاته

الليلة ..زوجي قد عاد وربما يحتاجني في أمر ما..

كان ذلك بملامح لا تود الذهاب قطعاً، تقدمت مني، أقصد من دانا قبلتها وأنها ذلك بعناق لطيف واستدارت خارجة وقبل أن تختفي تماماً قالت مازحة:

-لا تخافي لكل لعنة نقيض يبطلها ههه..

شدتني آخر جملة قالتها قبل أن تغادر، قد تكون لصالحني يوماً ما.. هاته المرأة مثيرة للاهتمام حقاً. لا يهم أمرها الآن.. ترى ما هي خططهم السافلة هؤلاء الحمقى؟ إنهم يثيرون عصبيتي.. المسكينة دانا لا تعلم أي شيء. والجيد أن إحياءات روحانية الآن خطرت علي متواكبة مع روحي وروح دانا بأنهم لم ينتهكوا حرمتي عليها بأي مس جنسي خبيث. وكل ذلك فقط ليجعلوني أتأكد من أنها في قبضتهم على كل حال.. ولكن لماذا أعادوني لها الآن، هل هناك مهمة جديدة؟ أم أن غرضهم هو جعلني أكشف سر تلك اللغافة بصورة قريبة وأتمكن من تأدية من تبقى بدقة بعد أن علمت أنها بخير، بشكل مؤقت ربما.. كانت تمسك كفي بكلتا يديها محمقة في ملامحي النائمة ثم تركت يسراها تسرح فوق ملامحي تفرك حاجبي وتتحسس خدي وشفتي والدموع محبوسة في عينيها وحتى نبضها قوي وبشكل غير طبيعي.. أقلقني شأن دقائقها المتسارعة عندما حضنت يدي بين راحتيها إلى صدرها، بالقرب من قلبها والذي شعرت بباطنه الحب الخفي الذي تكنه لي وأنا بداخلها الآن.. قد لا يكون الجو شاعرياً الآن وأنا مجرد روح

نكرة لقول هذا الكلام الجميل، لكن الحق أن روحها طاهرة ونقية جدا وأنا مستمتع بالقرب منها هكذا.. ولو خيروني عن موت الجسد بشرط أن تبقى روحي سارحة هكذا لطلبت أن يتركوها مستنسخة إلى الأبد في جوفها، إنها كل المأوى والأمان ...

ربيت فراشنا، شغلت فيلما جميلا. «ما تخبئه لنا النجوم» طالما أحببت هذا الفيلم وكنت كثير المشاهدة له.. ونامت في حضن جسدي الخاوي من الروح، بارد الملامح والميت بشكل ما! ابتسمت في وجه ملامحي قبل أن يغلب عليها النعاس وهي تتأملني وكأنني نائم فقط.. المسكينة، هي لا تعلم شيئا.. كنت أحبها حقا، أتشي بذلك الإحساس المرهف بحبها اللذيذ وروحها الطاهرة البريئة ومشاكساتها الحيوية الرائعة. أتذكر يوما أنها قالت: سنبقى معا للأبد يا حبيبي... ها هي تفي بالوعد وتبقى معي وبشكل ما هي تستخرج الحب من جسد قد ماتت فيه المشاعر والأحاسيس في هاته النومة الهنيئة.. استدارت وحملت ساعدي المتناقل واختبأت في تلك المساحة بين عنق كتفي وصدري... يا ليتني أستطيع احتواءها الآن! لو عدت للحياة يوما ما كنت لأترك لحظة تمر علي من دون حب وشغف لهاته الأميرة الجميلة التي أمامي. حركت رأسها قليلا على بشرة جسدي وكأنها هي الآخرة تفتقد الاحتواء حتى من هذا الجسد النائم.. ربما هي تقول ذلك بطريقة لا أستطيع فهمها بأنه سيستيقظ غدا ويحتويني كالمعتاد. أود فعل ذلك حقا ولكن للأسف.. حملت ذراعي الآخر ووضعت خلف ظهرها متحركة بود بين أحضاني وكأنها

تبحث عن عمق آخر فيها.. صدر صوت أحبه كثيرا في آخر أنفاس
تنهداتها؛ أستطيع سماعه من السماء! مؤلم جدا..

بدأت خيوط أفكارها تذهب في الأفق، بدأ جسدها يتراخى أكثر..
طغى النعاس عليها واستسلمت أخيرا لنوم عميق. في أول جزء من
هذا النوم كنت أشعر بروحي تحاول الخروج منها، هل هي لحظة
الوداع؟ أم إلى لقاء آخر مع «دانا» أتمنى أن يكون اللقاء الآخر معها
حقيقة وأنا في جسدي الحقيقي جسد «رامو» تلاشت الأجزاء مني
واندثرت في الجو في طرفة عين... لا أدري كنت ستكون المدة التي
سأجد نفسي فيها في جسد آخر ولكن على الأغلب سأشعر بالوقت
الذي بينها وبين هاته اللحظة أشبه بثانية أو اثنين...

الفصل السادس

«... هل تعرف كيف تكتشف شيطان بشري من بين عوام الناس!
وكيف يمكنك أن تمارس تلك التجربة والخروج منها بنجاح؟ الأمر
سهل للغاية...»

ها قد عدت لهاته المديرة اللعينة. روعي صارت تسير الأمور
بإتقان قليلا لكثرة السفر بين الأجساد.. إنها النهاية، نهاية كل شيء..
إنها حقا النهاية! لم تتوالى خطواتي إلى وسط الساحة بين الناس
إلا وعدت خطوتين للوراء بعد كل خطوة، خمس رجال في الحظيرة
خلفي يحدقون بي بكل ما تحمل وجوههم من قساوة، زميلي ما
يزال كالمجنون يحدق بي بشدة في كل خطوة وخلفه ظلال الشيوخ
الموجودة هناك لسبب ما مع الكثير من المهرجين.. ناس تنتظر
الهلاك هناك في وسط الساحة، أمور غريبة تحدث هنا! ما علاقة
أي شيء بالآخر؟ الغريان قد جاعت وتنتظر حصتها من الجثث فوق
الأشجار وحواف المباني، بكاء الطفل ما زال ينوح في الجوار.. البدر
مكتمل وأنا بين كل هذا حائرة في أمري!

حائرة؟ كم أنا غبي حقا، نسيت أنني مستنسخ هنا في هذه الأتني
المتعجرفة، لكنها جميلة حقا.. سيأتون لاقتحام المكان وإفساد الخطة
في أي لحظة... من هم؟

لا يهم، حقا لا يهم.. تأكد أنهم ليسوا من الجن فقط!

استعدت رباطة جأشي وتقدمت بخطوات ثقيلة نحو وسط الساحة حيث هناك الكثير من الناس الذين تمت دعوتهم لهذه الليلة لسبب لا أريد أن أتذكره أو أن أبا لي به حتى.. فسيموتون بأي حال!

ها أنا أخيرا في الوسط، في وسط الساحة.. وفي وسط عدد هائل من الناس! أحكمت قبضتي على الحزام الناسف في بطني، رحت سارحا في وجوهم التي ستكون فحما بعد لحظات؛ ليس بداعي العاطفة أو الشفقة... أخبرتكم أنني لم أعد أملك ذلك أصلا فقد تجردت من كل شيء ومن كل شعور.. بل فقط لأرى شكل نهاية البعض كيف يكون!

مساكين.. لو علموا أنهم سيموتون بعد لحظات من الآن لكانوا يصلون بخشوع.. خاصة ذلك الأحمق الذي يقبل حبيته بكل شغف بزيها القصير الذي جعل ملمس أنامله يتدلى بكفه على فخذه ليتحسسها بنشوة قصيرة سيفقد الحياة بعدها في هذه الليلة.. الهلاك يحوم مع نور البدر وبين ترنيمات بكاء هذا الطفل الصغير! غريب أمر البشر حقا.. لا ننكر غرائزنا البشرية ولكن ألا نستطيع ترويضها؟

ليس لدي متسع من الوقت، سأنتهي هذه اللعبة.. قشعريرة بدأت تسري في جسدي جعلت حبيبات كثيرة تظهر من على سطح بشرتي وكأنها لبرد ديسمبري شديد.. وإغماء بدأ يصيبني، هل عادوا؟

ظلال بين الناس تظهر فجأة وتختفي حينما أحاول النظر لها فأراها بنصف عين فقط، بالكاد أستطيع التقاطها لولا ذلك الصوت الذي يشبه سل السيف من مكانه عندما تمر بجانبني! بدأ نعيق الغربان وصوت بكاء الطفل صار أشد من ذي قبل، أعدت النظر لكل تلك الوجوه في وسط الساحة بسرعة، للرجال الخمسة في زوايا الحظيرة بنظرة خاطفة، حملقت في زميلي الذي لم يبرح مكانه في الأعلى.. أعدت النظر للحشود المتجمهرة هناك في هذا العزاء، إلى البوابة الكبيرة لهذه الساحة والشركة.. ماذا! لقد أتوا حقا؟ إنها اللحظة المترقبة.. في غفلة من الجميع انطلق عدد لا يحصى ولا يعد من الشماريخ والألعاب النارية في السماء بألوان زاهية وأخرى بخارية انطلقت معها لتلون السماء، دخل جيش من البهلوانيين من كل مكان بخفة زادوا بهجة عظيمة للمكان، وجمهور غفير آخر دخل محتفلا وكأنهم خرجوا من السجن للتو فزاد عدد الناس في الساحة إلى أضعاف كثيرة وقاموا بمهرجان للألوان بينهم وزادت الموسيقى الصاخبة من تلك السيارات التابعة للسيرك تجوب الساحة حيث لا تستطيع فهم صديقك الذي بجانبك ولو نادى بأعلى صوته من هذا المهرجان الذي دحض سهرة العزاء فجأة، من أين أتى؟ ولماذا! الأمر محير حقا.. وقد تكون أكبر احتفالية شهدتها البلاد لحد الآن.

ألم يكن هذا موعد الانفجار والقتل! تحول الآن إلى حفلة غناء ورقص وألعاب نارية وسيرك بدأ يسير بسياراته في الساحة بلا توقف وكأنه افتتاح لشيء عظيم قادم.. إن الأمر لا يصدق!

ما زلت أتذكر اللعنة؛ لللعنة التي علي القيام بها الليلة...

«.. بكاء الطفل، ليلة الجمعة واكتمال البدر.. عزاء وانفجار وغريان؛

لا تأتي الغريان بلا سبب...»

ما إن أعدت النظر لزميلي، في الأعلى يترقبني طبعاً.. ابتسم وأخذ يبتعد ثم تلاشى إلى أن اختفى بعد أن أشار بعلامة نصر غربية وبدأ المهرجون يتحركون من مكانهم وهذا ما أوحته لي ظلالهم التي صارت تتغير من أماكنها وراء الشبايبك هناك.. لحظات فقط وبدأ صدى ضحكات الشيوخ تدوي في السماء بصوت عالي من احترافية المهرجين وبراءة الشيوخ، نظرت بحيرة إلى الحظيرة، انفجرت خلفي أقوى الألعاب النارية لتصم الآذان من شدتها وأمامي حظيرة صارت تحترق حيث قام الخمسة الأوغاد بتفجيرها.. فتطايرت الغريان في السماء ولا أحد يلاحظها من شدة ألوان الألعاب النارية والبخار وغيرها من ظلمة الليل والسحاب.. لم تلبث أن عادت لتأخذ حصتها من تلك الحيوانات التي صارت جثث في الحظيرة، البدر مكتمل.. ونحن الآن في ليلة الجمعة الموعودة.. الليلة التي علي القيام فيها بما تقوله اللعنة التي أوحى بها إلي بافوميت في بقاع عزازيل في العالم الأسفل من برمودا بعد اختفائنا بالطائرة هناك التي تحطمت فجأة وصارت كومة من الأعطاب.. هأنذا بعد أكثر من استنساخ في عدة أجساد أصل إلى مرحلة النهاية.. وهي إتمام اللعنة والخلاص!

بكاء الطفل الذي يضعونه كمعزوفة للاتصار وتشويه البراءة، ليلة

الجمعة وهي ليلة مقدسة لدى المسلمين فاختاروها لتدنيستها هي الأخرى.. اكتمال البدر فيه حكمة لا يعلمها إلا بنو الجان، العزاء هو حفلهم ومهرجاناتهم الخاص! الغريبان هي من الحيوانات المشؤومة والتي تستطيب الجثث فاختاروها لتجلب لهم عينة من الجثث عبر أكلها للبقايا أو بين مخالبتها الصغيرة ليستعملوها وقودا لشهرهم، والجثث التي كانت ستموت هي قربان لهم، وكل الشرور التي كانوا سببا فيها عبر شياطين البشر أو بوسوستهم هي وقود يزيدهم قوة وشرور.. فكل هذا الكذب والنفاق والتحايل والخطايا هي وقود لهم يسكب في عالهم عبر وساطة بقاع برمودا! كل ما كان بنا من شر نحن البشر، زدناهم قوة وحدة.

أنت محاط بهم من كل جهة، فهم لا يتعدون عن أحد محاولين ايقاعه في شباكهم الغليظة! في غرفتك يوجد الكثير منهم.. ولا مكان للبساطة في هذه الحياة، فلا تدري أي واحد من كل البشر الذين أنت تصادفهم كل يوم في شوارع المدينة هو بشر كاذب؛ غير حقيقي! قد يكونون أرواحا مستنسخة من عالم آخر.. فلربما ذلك الذي يحاول إيصالك بالسيارة ليلا برحابة صدر لا يبشر بالخير وهو يحاول أخذك معه للعالم الآخر، قد لا يكون الشخص الذي ارتطم بك فجأة في أحد الأرصفة شخصا عاديا كالباقي، ربما قد نثر فيك شعوذة ما ليتبعوك فلا تصدق تأسفه وتعوذه بالله.. الشخص الذي قال لك أنك مألوف عنده أو ربما شاهدك في مكان ما؛ هو الآخر قد يكون روحا مستنسخة يحاول استدراجك بعدما أروه صورتك في

بقاع عزازيل عندما حُطف ليأخذوك أنت الآخر.. أخبره أنه مخطئ
تماما! من تلمحه يحدق فيك بشدة دون معرفة سابقة بينكما.. من
تراهم يتمتمون بكلام عنك ولا تعرفهم.. وكل من لا تعرفهم محل شك
يا عزيزي، حتى المقربون منك فيهم خطر عليك! فأني تصرف غريب
أو غامض من أحد أصدقائك أو زملائك أو أي شخص رأيته بدأ يتحول
عن طبيعته ربما ال «هو» ليست «هو».. لربما يكون تحول إلى شيطان
بشري عبر روح مستنسخة ما، لا تتق به.. قد يكون مبعوثا لك!

هذا المهرجان المفاجئ! وهاته الاحتفالات الكبيرة التي حلت في
غفلة من الناس، صوت البكاء الذي تم اخفاؤه بواسطة الفوضى
وضحكات الشيوخ.. الغربان التي هي منكببة الآن على جثث
الحيوانات و ...

فجأة صرت أبتعد بخطوات سريعة جدا إلى الخلف دون إرادتي
وكأن كيانا طيفيا ما يقوم بجذبي، بدأ الصوت يتعد، كل الأصوات
صارت تتلاشى حتى تنتهي بطنين من مدى بعيد يخترق أذني بشدة..
والصورة بدت كدوامة تدور بسرعة رهيبية لا أرى منها إلا خيوط الجو
اللولبية تحاول إيقاعي حتى أغدو مغمى علي.. لا أتحسس الأرض
أسفل قدمي!

صرت أرتفع عنها إلى الأعلى المجهول، وفجأة تومض بعض الشكال
التي صارت واضحة بشدة من نفر الجن، لا يمكن وصف ما قد تخلفه
من صدمة بعد ثانية واحدة من مشاهدتها أو ربما جزء من الثانية..

لا أريد أن أفوت عليك وصف شكلها ولكن عليك أن تكون جريئاً!
فمن يراها حقيقة أو بوصف دقيق من شخص رآها حقاً سيكون فريسة
سهلة لهم.. كن قويا فقط! فلا فرصة أخرى لك لتراهم ولو من خلال
وصف شديد الدقة كهذا...

وجوه بشعة، ملامحها من مجموعة أشلاء مقطعة منها ما هو
منسدل بشكل مقرز.. تستطيع أن ترى ما تحويه رؤوسهم من الداخل
من مواد صمغية مقرفة تتسائل عليهم.. أجسادهم تختلف ولكن
ما رأيت منهم كان أقرب إلى جسم الإنسان ولكن ليس إلا كومة من
الأشلاء تتدلى ولا تركيبة ظاهرة لها فالأحشاء ظاهرة وباطن اللحم
ظاهر ومهشم ويتميلون كمجموعة من السكارى ولكن لهم سرعة
يستخدمونها في أي لحظة.. كلما طال الوصف كانت فرصة بروزهم
لك أكبر، لنوفر الوصف لاحقاً وأعطيك بعض النصائح لتفاداهم!
قد تكون في غرفتك وتراه فجأة واقفاً عند الباب أو في الزاوية الأخرى
للغرفة أو جالسا كمرضى نفسي، قد تكون تمشى في الليل في
أحد أروقة البيت فتراه في آخر الرواق.. قد تدخل متأخراً للمنزل
فتجده خلف الباب! ربما تتوجه للقبو أو المستودع وحدك فتجده
متشبثاً في الحائط ليدير رأسه لك بشكل مقلوب مخرجا لك بطريقة
مستفزة لسانه التي تتقاطر بالدماء.. سيكون هادئاً ومسالماً ورأسه
دائماً ما تكون متوجهة للأسفل ويده ممدودتان لنفس اتجاه الرأس
أيضاً بشكل مستقيم وكأنه إنسان عادي، عندما تأخذك الصدمة إلى
جمود رهيب! سيقوم برفع رأسه بيده وفي أول نظرة منك سينقض

عليك.. كل ما عليك فعله هو إغماض عينيك وتجاهله ؛ فقط لا تفكر به.. صدقني!

صارت تلك الأجسام تظهر في وجهي من العدم وتخرقني كسيوف حادة، واحدة تلو الأخرى.. إنهم يريدون مني أن أقوم بالمهمة بسرعة وأنهيها!

أن أفجر نفسي، فهذا هو وقت اللعنة بالذات ولكن لا أدري ما خطبهم فالقمر لن يذهب إلا بعد طول ليلة كاملة والناس ما يزالون في بداية سهرتهم والتي ستستمر إلى وقت متأخر من الليل، إنه يشبهون بعض البشر حقا حينما يسارعون لنشر الشر الذي بداخلهم في أول فرصة من كذب ونفاق.

ألا يرى الناس ما أنا عليه الآن! صارت الصورة تعود من جديد الصوت يعود من بعيد وعاد إحساسي بلمس الأرض أسفلي وبدأ كل شيء يعود لطبيعته ولكن لم تزل آثار الدوار وآلام اختراق تلك الأطياف لي.. على الأغلب هو تهديد بسيط لما سيصينني إن لم أقم بذلك.. لست غيبا لهذه الدرجة.. أنا سأقوم بما يؤدي بي للخلاص بالطبع.. تنهدت بعمق ورفعت رأسي ببطء أشاهد أقدام الناس أمامي، مؤخراتهم، ظهورهم.. ثم رؤوسهم التي أود تفجيرها الآن! ستحل اللعنة عليكم جميعا أيها الحمقى، لا مفر الآن من الهلاك.. سيتحول هذا الحفل عزاء حقيقيا بعد ثواني معدودة.. جسدي! تحمل قليلا من أجلي، أينما كنت وبأي روح أنت ملبوس الآن.. لم يبق الكثير حتى أعود

لك.. لذلك الشعر الذي أخربه عنما أحتار وتلك الأظافر التي طالما استمتعت بقضمها لما أحمله من توتر.. لتلك الملامح الي طالما ناديتك بها بـ بعو.. تلك الأسطورة القديمة لوحش مخيف! تحمل فقط قليلا وسأعود لك وهذا وعد مني، كما قمت بحبك الجريمة السابقة التي تم تداولها كثيرا بين شرائح الناس.. كما تحملت أيام السجن وعذابه وغيرها من معرقلات! مستعد للم شملنا يا «رامو».. ستعود الروح للجسد وينبض القلب والروح معا..

باللعنة أو من دونها، سأعود لك على كل حال؛ طال ذلك أم قصر، سأعود في الأخير.. أتمنى أنك حي الآن، فروحك حية ولم تمت.. الأرواح لا تموت أصلا فهي من تأتينا في الحلم لنلقى بعض الأحبة ممن ماتوا ومن هم بعيدون عنا بجغرافية أرض وعالم آخر... الأرواح خالدة للأبد.. ولن يموت إلا من لم يعيش الحياة بكل ما فيها!

أيتها اللعنة، ستنتهين بطريقة أو بأخرى.. وهذا ما سأفعله! بيننا هذه الليلة فقط.. إما إتمام المهمة أو لقاء مصير آخر لا أشك في لطفه أبدا وهو ما وصفه عزازيل اللعين بالسجن للعالم الأسفل! أي أسفل السافلين.. بشاعة الاسم فقط تجعلك تتوتر من حدته وقسوته، ستكون جمعة سوداء علي أو عليهم.. واحد منا سيمتصه السواد.. ثم ما شأن كل هذه الاحتفالات وضحك الشيوخ الذي صار يزعجني وبدأ يعيق علي ترقب صوت بكاء الطفل؟ إن الأمور لم تسر كما أرادها عزازيل وبافمويت! لا يهم... سأقوم بذلك في كل الأحوال

فالخلاص والحرية يحتاجان إلى الكفاح من أجل ذلك، لا لثورة! بل بقليل من العقل يمكن تحقيقها.

عليكم الموت أيها الناس ولعنة عزازيل!

أستجمع قواي، أتهد بشدة، أحكم قبضتي على الحزام من جديد! آن الأوان، قد لا يعطيك القدر فرصة كهذه أيضا، للالتحار.. تنتحر دون أن تتأذى.. تموت لكنك لا تهلك!.. أغمضت عيني! أهدق للمرة الأخيرة في تلك الجموع هناك وفجأة... حرارة، حرارة كبيرة! وكأن جسمي ينصهر.. ما الذي يحدث؟ إن الأمر غريب حقا فلا أدري ما سبب هذه الحرارة التي تشبه نارا حقيقية أضمرت في داخلي.. لا أدري هل ضغطت على زناد التفجير أم لا! فالأصوات هنا عالية جدا؛ لا أستطيع تحديدها! ولكن هذا الشعور الغريب الذي تملكني قد يوحي بشكل نهائي أن هذا هو الموت وأني قد فعلتها أخيرا، اختفت المشاهد، تلاشت الأصوات بين فرح وصراخ ربما هو نتيجة الانفجار إلى أن اختفت هي الأخرى في الأفق.. هل فعلتها حقا! زاد إحساس الحرق الداخلي والحرارة العظيمة في جسدي مصاحبة لإحساس رهيب سرى في كياني يشبه الإحساس بعدميتي التي ستكون بعد الموت وهذا ما أظن أنني وصلت إليه.. ربما أن الحزام كان له انفجار قوي جدا حيث لم أتمكن من عيش لحظة واحدة من التمزق أو الهلاك أو أي شيء آخر.. حدث ذلك و فقط! هل سأعود لروحي الآن، هل هي سالمة أم أن خطتي لم تنجح؟ كل الحقائق ستعرف

الآن، بين نجاحي أنا أو تغلبهم علي... بين أي شكل من أشكال الموت
سيحتويني؛ موت بعده نجاح أو موت حقيقي بلا أي شيء أو موت
في السجن الأسفل من العالم الآخر...

بِالْأَعْيُنِ
الْبَاطِنَةِ

الفصل السابع

الاحتراق البشري الذاتي، يقال أنه عبارة عن حدوث حريق يشب تلقائياً في جسد الشخص من دون أي مسبب خارجي معروف أو محدد ويرمز لها اختصاراً بـ SHC أو Spontaneous human combustion.

قد ينتج عن هذا الاشتعال بعض الحروق البسيطة في الجلد أو الدخان وقد يشمل كامل الجسم وهذا الأخير هو ما يميز ظاهرة «الاشتعال البشري الذاتي»

دار حول هذه الظاهرة الكثير من التحاليل ولم يتم العثور على دليل مادي لحدوثها، ولكن مع ذلك يوجد افتراضان شائعان لماهيتها وكيفية حدوثها.. الافتراض الأول هو نار تكون ضئيلة جداً في البداية ثم تجدد محفزات تساعد على تحولها إلى حريق كبير. والافتراض الثاني هو حدوث نوع نادر من تفريغ شحنات الكهرباء الساكنة أو الاستاتيكية من الناحية النظرية يحتوي جسم الإنسان على طاقة مخزنة على شكل دهون وكافية ليتم استهلاكها لكن في الظروف الطبيعية لن تشتعل الأجسام من تلقاء نفسها.. وهذا هو التفسير الوحيد الذي يبرهن ما حدث لي في تلك الليلة الشنيعة، لكن تحليلاته

لن تكون إلا بدراسات ميتافيزيقية كبيرة وكثيرة وعلى الأغلب لن يتم الوصول إلى جواب كافي.. فما كان سبب الذي حدث لي ذلك اليوم هو نتيجة نقيض اللعنة والذي قمت بحبك خطة مضادة لها، أقصد لعنة عزازيل وبافوميت التي أوحوها لي لتتم محققة كليا بعد الانفجار الذي كنت مقبلا عليه.. للوهلة الأولى بدا لي الأمر وكأنه حلم غريب، كابوس ما.. فقد وجدت نفسي في غرفتي، بملابس النوم خاصتي. استطردت تلك الفوضى ومسحت آثار العرق على جبينني من الجو الساخن وكلي شتات وتيه لما عشته في ذلك الحلم.. ولكن الشيء الذي جعلني أتأكد أن الأمر كان حقيقة هو ملاحظتي لآثار خدش صغير فوق أحد العروق من ساعدي الأيسر مشابهة لتلك العلامة التي علمت بها في بقاع برمودا.. صداع رهيب وشعور بالغثيان والدوار، لن يحدث أي أمر وراء الطبيعة فالحياة الآن طبيعية جدا.. لم يلبث الصداع أن عاد أدراجه تاركا خلفه انفصاما مخضرا بين شخصيتي الطبيعية الآن والأخرى التي استعادت الذاكرة فجأة.. وسأحكي لكم باختصار شديد ماذا حدث في تلك الجمعة السوداء، في تلك الساحة التي تحولت من هدوء وعزاء إلى مهرجان كبير، عن تلك الغريبان التي جاءت لتتخر جثث الموتى فصارت تداعب بمناقيرها لحم الحيوانات خاصة الخنازير منها في الحظيرة التي انفجرت في غفلة من الجميع.. وعن أولئك الرجال الخمسة الذين كانوا هناك! سأحكي لكم عن السر وراء جلوس زميلي في المكتب والعمل هناك عندما كنت روحا مستنسخة في جسد تلك الأثني.. وعن مراقبته لي

طيلة السهرة وعلامة النصر الأخيرة وضحكته الخبيثة، عن المهرجين الذي كانوا هناك بجانب عدد من العجائز.. وعن سبب تواجد كل منهما، هل تم الانفجار؟ هل تحققت اللعنة؟ ما سر ذلك المهرجان المفاجئ والغريب؟ سأحكي لكم كل هذا وعن كيفية وصولي إلى هنا، عن دانا والكثير من الأمور الغريبة الأخرى...

«..بكاء الطفل، ليلة الجمعة واكتمال البدر.. عزاء وانفجار وغريان؛ لا تأتي الغريان بلا سبب...»

هكذا كان نص اللعنة التي كان علي إتمامها لتكون وقود شر كبير لهم، كلكم سمعتم معي بكاء الطفل في تلك الليلة بشكل واضح، ليلة الجمعة واكتمال البدر.. عند قوم تلك الحشود على شرف عزاء والد زميلي وكلكم شاهدتم الغريان فوق الأشجار وأعلى المباني.. كان من المفترض علي أن أضغط على الحزام الناسف لأنفجر منتحرا خلف جسد تلك الفتاة التي تم اقحام روعي داخلها لتتحكم بها في اللحظة التي يشتد فيها بكاء الطفل تحت بدر الجمعة المكتمل لتكمل الغريان اللعينة مهمتها في أكل الجثث قبل أن تعود لمن أرسلها محملة بعينة من الجثث.. كل هذا مقابل أن أعود لجسدي الأصلي...

لكن لم أكن بالأحمق الذي يصدق الشياطين، مع علمي بأنهم يسرون في ذواتنا.. لم يكن لدي قرين! فقد تم تركه مع جسدي في مكان ما وصارت روعي جواله بين الأجساد لينتهي بها المطاف هنا...

والجميل في معشر الجن هذا أنهم يعطونني راحة قصيرة في كل جسد لأتمكن من التعايش معه في ذلك الانفصام الذي سيحدث بيني وبين صاحب الجسد الأصلي، طبعاً سيتمكنون من مراقبتي في ذلك الوقت الذي أتحكم فيه بزمام الأمور.. كانت مهمتي أن أقيم حفلة في ساحة الشركة على شرف عزاء والد زميلي، لكن لم يكن هناك أي تحديد لنوع الحفل! فمن عادة العزاء أنه هادئ وحزين.. لكنني قمت بتحريف صغير لتلك المراسيم الروتينية فقط عندما أحسست بحرية منهم لا تتعدى حدود فترة الآذان من كل صلاة حتى يعودوا من جديد.. أقصد المكلفين بحراستي وتتبعي من العالم الآخر. هنا جلعت من ذلك فرصة لي وفي كل صلاة كنت أفتح الموضوع مع زميلي حول العزاء الذي سيقام، طبعاً وافق على تحديد ليلة الجمعة.. ولكن في المقابل أوهمته بالكثير من الأفكار الفلسفية التي كانت لتجعله فريسة سهلة خاصة من نبرة أثنوية رقيقة لهاته الفتاة التي أنا أتحكم فيها.. لماذا لا نجعل العزاء عزاء بشكل آخر؟ روح والدك لا تستحق الحزن يا صديقي، لقد كان متفانيا في عمله وفي أسرته ولا يرد أحداً إلا وساعده بما يجب ومنحه ما يريد.. لقد كان بطلاً حقيقياً ويجب أن نحتفل بما قدمه للبشرية بدل أن نحزن على فقدانه فالوقت الذي مر عليه هنا كفيف لجعلنا نقول بأن الحزن على وداعه شيمة رذيلة في الحين الذي يجب أن نكرمه باحتفال خاص على ما عاشه معنا.. كأن نقوم بدعوة أكبر دار عجزة في المدينة بالإضافة إلى أكثر المهرجين احترافية في البلاد لنقوم بإسعاد بعض العجزة وهذا أمر رائع كما

تعلم.. سنجعل صدى ضحكاتهم يدوي حتى وسط الساحة بكل فرح من تلك النوافذ، التي عليك أن تقف في واحدة منها لترمق تحركاتي في الأسفل هناك قبل أن تنتقل إلى المفاجأة الكبرى.. سمعت وكما سبق وتحدثنا عن ذلك السيرك! والمهرجان المصاحب له. يبحثون مكان واسع عام أو ساحة كبيرة ما تحتويهم وليفتتحوها فيها نشاطهم.. لم يبق الكثير على انتهاء المهلة المقدمة لهم ليتموا ذلك. دعنا نقيم الحفل في ساحة الشركة، في نفس ليلة الجمعة، نفس الليلة التي نعزي فيها والدك بطريقتنا الخاصة ونفس الليلة التي سيأتي فيها المهرجون والمقيمون بدار العجزة.. أنت موافق أليس كذلك؟ طبعا كان موافقا وأعجبه الفكرة كثيرا، كنت خبيثا في كيد امرأة وقمت بذلك الحديث في مهلة مآذن صلاة العصر حيث كانت لي فرصة لأن لا يسترق أحد أفكارى أو كلامي من الشياطين أو الجن أو أي نفر آخر.. أين كانوا ينتظرون مني أن أتم لعنتهم بالطريقة التي يشاؤون. فحتى الدعوات التي كان علي إرسالها قمت بكتابها فور كل صلاة تحت تأثير أصوات المآذن الجميلة..

تواصلت مع أكبر دار عجزة، تمت الموافقة على الحضور ليلة الجمعة.. حجزت لهم في أحد الطوابق ليحضروا كل الشيوخ والعجائز لسهرة جميلة على حسابنا.

تواصلت مع كبار المهرجين وأكثرهم احترافية وحجزت لهم في نفس طابق دار العجزة مع بركة الشيوخ هناك بعد موافقتهم...

تواصلت مع مدير السيرك وسكرتيرته التي أخبرتني بسعادة مديرها الكبيرة بالفرصة التي أعطيتها له ليقوم بافتتاح سيركه في ساحة الشركة إضافة إلى عقد شراكة لأكبر مهرجان قد يقام في المدينة أو البلاد كلها وهذا ما زاد من هستيرية المدير ووافق على بعض الشروط منها أن يقتحموا الساحة فجأة ليتحول الوضع جذريا من سكون رهيب بين الناس إلى احتفال عظيم..

والأمر الآخر الذي قمت بعقد صفقة فيه هو مع أحد كتائب المافيا المحلية والذين لا يعترفون ولا يهتمون سوى بالمال، حتى وإن كانت المهمة صعبة أو شبه مستحيلة.. أو حتى غريبة كالعرض الذي عرضته عليهم مع مبلغ وفير من المال. وهو أن يرسلوا عددا من رجالهم إلى حظيرة الشركة بعد أن منحتهم العنوان ليفجروها غفلة عند ذروة صوت انفجار الشماربخ أو عند اشارتي.. تمت الموافقة على ذلك أيضا وتم تحديد يوم الجمعة، ليلة يوم الجمعة.

تمت كل الأمور تحسبا لما خططته له جيدا، لكن ذلك لا يؤكد البتة أنني سالم منهم أو سأكون كذلك.. حلت ليلة الجمعة كعروس من الجحيم بحلتها السواء الليلة محتوية بظلامها تلك الجماهير الغفيرة وسط الساحة حيث كنت أنا هناك في شكل امرأة مزينة بحزام ناسف سينفجر في أي لحظة.. وصل موكب دار العجزة وتمت مرافقتهم مع زميلي بالإضافة إلى المهرجين إلى أحد الطوابق المطلة نوافذه على الساحة شكل قريب جدا.. وقف زميلي في المكان الذي

اتفقنا عليه خلف أحد الشبايبك يراقب بتمعن كل تحركاتي ينتظر مني إشارة يحولها للمهرجين كي يقوموا بأكثر العروض احتراافية وكانت مقولتي لهم لو كانت سعادة المسنين المحرومين من دار العجزة كبيرة وضحكهم أكبر سيكون لكم ضعف ما طلبتم من المال وهذا ما جعلهم يحضرون بروح حيوية ونشيطة جدا.. حتى رجال المافيا كانوا قد وصلوا؛ خمسة رجال في الحظيرة ينتظرون فرصة تفجيرها على غفلة..

في الجانب الآخرها هي الجمعة تأتي وبدرها الكامل ساطع وسط السماء، الغريان صارت جاهزة وحتى صوت بكاء الطفل واضح هو الآخر ولا ينقص لإتمام اللعنة سوى انفجار أنا من سأقوم به.. تأخرت، تأخرت كثيرا على الانتحار و'نهاة المهمة.. كنت أنتظر حدوث نقيض اللعنة! هذا النقيض الذي قمت بحبك تفاصيله بعناية تامة، تأخروا وتأخرت وهذا ما استفزهم وجعلهم يحاولون إخافتي ببعض الألاعيب الشيطانية خاصتهم وكأنهم يقولون أسرع أيها الغبي... مررت نظرات ثاقبة حول المكان قاصدا زميلي هناك خلف الشباك، على الخمسة في الحظيرة وعلى الأنااس الذين كانوا في وسط الساحة، نظرت إلى الغريان، إلى البدر وتحسست بكاء الطفل بدقة وهو الذي كنت أسمعه بوضوح أيضا.. الوقت يمر وهذا إما أنه سيكون لصالحه أو عكس ذلك ليكون علي مريرا جدا.. قد أكون ضحية فيه لذنب لا يعترف بتاتا.. أنتم تعرفون التفاصيل التي تحول فيها هذا الهدوء إلى أكبر احتفال ومهرجان في البلاد! فلا داعي لأن أعيدها على

مسامعكم مرة أخرى.. في تلك اللحظة تبادلنا أنا وزميلي ضحكة وعلامة نصر سريعة أدار ظهره بعدها ليجعل المهرجين يبدوون في مهمتهم لإضحاك الجمهور المسن بكل طاقتهم مع تحدي فوق كاهل كل واحد منهم؛ أي كلما زادت سعادة الجمهور وتعالنا أصدقاء ضحكاته زاد راتبهم.. بذكر الزيادة! ازدادت حدة أصوات الشمايخ والألعاب النارية وتصاعدت في السماء ومررت علامة نصر أخرى لهؤلاء الرجال الخمسة هناك ليقوموا بتفجير الحظيرة في غفلة من الجميع ولن يلاحظ أحد ذلك.

عندما تحول العزاء فجأة إلى مهرجان صاحب وحافل.. وتم امتصاص وإخفاء صوت بكاء الطفل الصغير بين صدى ضحكات الشيوخ في الأرجاء، في ليلة الجمعة عند اكتمال البدر! وتحول الانفجار الكبير الذي كان من المقرر أن يفتك بأجساد بشرية إلى آخر صغير لا يتعدى حدود الحظيرة وتمت عملية خداع الغربان بنجاح وإغراء الكثير منهم بتلك الجثث التي ماتت دون أن تتفحم أو تحترق كليا مخالفة هي الأخرى نص اللعنة الذي أرسلها لجثث بشرية ها هي ذي تتلذذ بمناخيرها بطعم لحوم حيوانات كثيرة.. كل هذا كان نقيضا كافيا لإبطال لعنة عزازيل وبافوميت..

أحسست بحرارة رهيبية في داخلي عند تحقق الوجه العكسي لللعنة.. كنت أنصهر من الداخل وكأني أحترق كليا وصارت شدة

الاحتراق الحرارة تتضاعف، فاقت درجة الغليان بكثير.. كنت أتفحم وكأني نواة الشمس عندما تحدث فيها التفاعلات النووية لتصل درجة الحرارة في مركزها إلى 15 مليون درجة مئوية.. لم يكن الجسد الذي ينصهر! بل الروح، كانت تحاول الانفصال عن هذه الأثني متمسكة بجزيئات أثرية مرتبطة بالجسد الأصلي في مكان ما.. وفي أول ثانية خرجت الروح من الجسد انطلقت إلى مكانها الأصلي في غرفة منزلي، فوق السرير حيث استيقظت فجأة ظانا بأن كابوسا ما قد حل بي ولم ألبث إلى أن تخلصت من ذلك الشتات والتهيه وتداخل الأفكار خاصة بعد أن كانت العلامة في ساعدي خير دليل على أن الأمر كان حقيقة وأن الكابوس انتهى برمته.. مرت أيام كثيرة وربما أسابيع حتى استعدت كامل قواي العقلية مزيلا عنها أي تعب واضطراب وفي الأخير بعد مزاولتي لطبيب نفسي محترف وبعد كثير من الجلسات تمكنت من العودة لحالتي الطبيعية خاصة وأن دانا معي دائما وتمثل السند الرائع لي.. كنت قد وجدتها بجاني صبيحة ذلك اليوم أين كانت تظن أن غيبوبة ما أصابتنى وهذا ما أشار له الطبيب الذي كان يتابع حالتي طيلة تلك المدة التي كنت فيها فوق السرير، أقصد أن جسدي كان فوق السرير أما أنا فكنت روحا عميلة تابعة لبافوميت.

أما عن دانا فقد أوهمها بعض الجن الذي اختطفها على أشكال بشرية بأنهم سيحققون مع رامو قليلا فقط وهذه السرية مستوجبة لأمر خاص، أعادوها للمنزل ومرت عليها ليلة سوداء انتهت بأن أعادوا

لها الجسد الخالي من الروح ولم يمت فقد تركوا فيه قريني هناك معها.. انتهت الغيبوبة الكاذبة وعدت لها هذه المرة فعلا وللأبد..

قد كانت سندا حقيقيا لي وملجأً يحتويوني.. مساحة كتفها فاق اتساعها كل الأوطان متجمعة وكان مصدر في بث الأمان والراحة في نفسي.. الحب ليس روتيننا متملقا في ألفاظه العسلية... هو أمان ومأوى واحتواء...

وما أجمل أن تكون لك حبيبة تختصر العالم! حتى إني أصبحت أصدق نظرية الأكوان المتعددة عندما تعرفت عليها؛ فهي لوحدها كون.

ما هذا الأنين؟ يا إلهي! صوت بكاء طفل صغير.. هل يعقل الأمر؟ هل سيسمحون لي بالدخول؟ سأفعل ذلك طبعاً، رغماً عنهم.. اقتحمت الغرفة فإذا بي أرى ابتسامة دانا المرهقة من شدة الألم والتعب وصغيرتي هناك بين أيديها.. هل ستكفي الأرض لحملي أرجل السعادة إذا انتصبت في كياني؟ لا أظن ذلك وهذا ما هو يحدث الآن.. أنا أسعد إنسان في هذا الكون.. أن يكون لك كائنا صغيراً من رحم تحبه أفضل بكثير من الزواج التقليدي.. لم أكن أعرف هل سأقبل زوجتي أم صغيرنا الذي بين أيدينا! على كل لقد بلغ الحب ذروته...

أستودعكم الآن فلدي زوجة وصغيرة علي الاعتناء بهم، بالمناسبة
سميتها «آنيا» ..

تمت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي جَعَلَ مِنَ
النَّارِ سَمُوكًا
وَالَّذِي جَعَلَ
لِلنَّجْمِ كُتُبًا
وَالَّذِي جَعَلَ
لِلْقَمَرِ نُجُومًا
وَالَّذِي جَعَلَ
لِلشَّمْسِ كُرْسِيًّا
مُجِيدًا
وَالَّذِي جَعَلَ
لِلنَّجْمِ كُتُبًا
وَالَّذِي جَعَلَ
لِلْقَمَرِ نُجُومًا
وَالَّذِي جَعَلَ
لِلشَّمْسِ كُرْسِيًّا
مُجِيدًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي جَعَلَ مِنَ
الْمَاءِ الْحَيَاةَ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ إِنَّهُ لَعَلِيمٌ